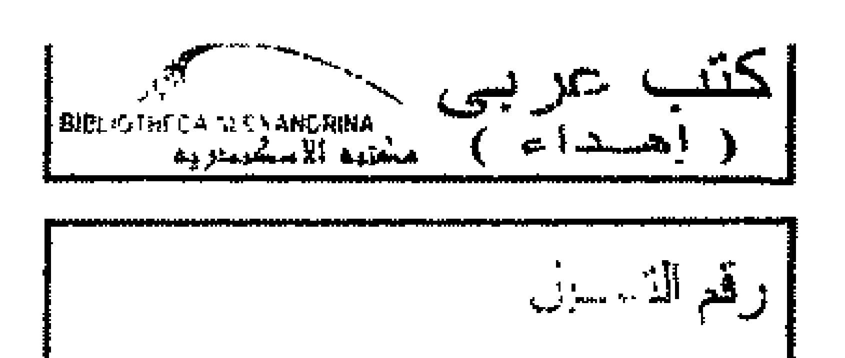
07

اهداءات ٢٠٠٢

أ د/ سامى خشبه

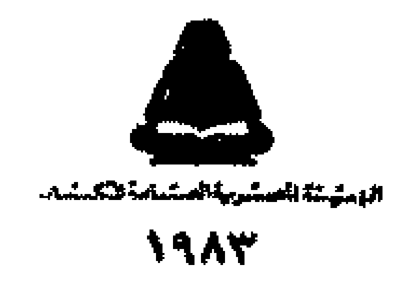
القاهرة

المكتبة الثقافية
٣٧٠



الصحافة الفكاهية في مصر

عبد الله احمد عبد الله
(ميكي ماوس)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

هذه قصة الصحافة الفكاهية المصرية من الألف الى الياء بكل تفاصيلها وهوامشها وفرعياتها وأسرارها وطرائفها والمجهول من خوافي سراديبها وقد عرضت لبعض أعلامها بشيء من السعة نسبيا ، تعريفا بهم وتقديما لهم الى من قرأوا عنهم او قرأوا لهم دون معرفة كافية بهم ؛ وآمل أن ينفع الله بهذا الجهد الذى أهديه الى المكتبة العربية المعاصرة سدا لفراغ ملحوظ. وقد ازعم أننى احيط بالموضوع ،احاطة تسمح لى بارتياد طريقه ، فقد عاصرت صحافتنا الفكاهية المصرية فى نشأتى قارئا مدركا مستوعبا ، ثم شاركت فى مسيرتها محررا فى كل ماصدر منها بعد الثلاثينات ثم رئيسا لتحرير (البعكوكة) كبرى صحف الفكاهة عندنا واشهرها واروجها و .. أظرفها !

ابو نضارة

صحافة الفكاهة عندنا فى مصر يرتبط مولدها بميلاد (أبو نضارة) الصحيفة التى أصدرها يعقوب صنوع وهو مصرى يهودى كان فى حاشيـة الخديوى اسماعيـل غير الرسمية . حاشية السهر واللهو والترفيه . كان نديما ممتازا لالمامه باللغات الأجنبية وآدابها وحديثه السـاخر ونكاته الطريفة ومواهبه الفنية مثل القدرة على التاليف والتمثيل والاخراج وفن التنكر (الماكياج) وجميل منادمته ومداعبته للحاشية الفكاهية الليلية للخديوى . وقد بهر الخديوى بما كان يقدم من عروض ضاحكة فردية يمثل فيها انماطا من الناس ـ سيدات ورجالا ـ ويقلد فيها الباعة والتجار المصريين والمغاربة والاتراك والشوام الذين كانت تعج بهم أسواق القاهرة وكان له بصر بلهجاتهم وحيلهم ، وتوسع فى العروض ، فحولها من مجرد منلوجات فردية الى ديالوجات ثنائية ، كان يلعب فيها الدورين فهو مرة مع فلاحة ، ومرة مع أغا ، ومرة مع خواجة ، وكانت سرعته فى تقمص الشخصية الاخرى ثم العودة الى شخصيته مثار انبهار للخديوى الذى كان يضحكه صنوع بمبتكراته المتجددة فأقام له مسرحا خاصا داخل القصر الخديوى ، قدم عليـه

من تاليفه أكثر من عمل حتى أفلح شانئوه وضحايا دعاباته وسخرياته في الكيد له عند الخديوى . حينما قدم صنوع مسرحية (زوج الاتنتين) التى لعب فيها وحده دور الزوج ودور الزوجة الأولى ودور الزوجة الثانية على نحو رائع فتحول من الضحك للضحك الى الضحك الهادف وكانت بدايته في عـــلاج تعدد الزوجـات فى هذه المسرحية . واستطاع الشانئون أن يحرضوا عليه الخديوى وأن يوحوا اليه أن صنوعا يسخر من تعدد زوجات الخديوى والمحظيات والجوارى . وافلح الكيد فخرج صنوع مغضوبا عليه من الرضا الخديوى السـامى وحظوى النعمة الخديوية ، الى عرض الطريق فعمل مدرسا خصوصيا وأنشـــأ فرقـة مسرحية محدودة الافراد هو مؤلفها وبطلها ومخرجهـــا وماكييرها كانت تقدم عروضها فى الشوارع والحدائق على نحو بدائى . وبدأ خطواته الصحفية الرائدة فى ميدانها: ميدان الفكاهة والسخرية كان ما أسلفناه فى النســطور السابقة تمهيدا ومدخلا للمرحلة الانتقالية الهامة فى حياة أبى الصحافة الفكاهية الذى قصر جهوده على صحيفته التى سماها بلقبه الذى اشتهر به (أبو نظارة) وقـد كان اخراجها الصحفى ، وطباعتها على نحو بدائى يتفق ومستوى الصناعة والطبـــاعة فى العصر الخديوى ، ولم تخل بعض أعدادها من رسوم بريشة صنوع أقرب الى الكاريكاتير ، بل هى كاريكاتير وقتها وقد عنى فيها بالتوجيه الاجتماعى الضاحك والسخرية من تصرفات العمد وانغماس عدد منهم

في اللهو الى غير ذلك من ظواهر الحياة والنماذج البشرية التي تستوعبها وتلتقطها حاسته الساخرة ·

وعاشت أبو نضارة قدر ما عاشت ، محدودة التأثير والانتشار · بحكم سيادة الامية وقتها وضآلة الذين يفكون الخط ، لكن حسبها انها كانت الصحيفة الفكاهية الرائدة في مصر التي نبهت الأذهان الى مثل هذا اللون الصحفي الجديد ·

وتستقبل مصر عصرا عصرا خديويا تاليا تستأنف فيه مسيرة الصحافة الفكاهية ·

« النديم »

« التنكيت والتبكيت »

مصر فى عصر الخديوى توفيق ، زاخرة بالاحداث أهمها وأضخمها وأبعدها تأثيرا فيما بعد ، فى حياة مصر كلها حسبه أنه العصر الذى شهد الثورة العرابية الجليلة بكل بواعثها الوطنية الصادقة والتضحيات الجسام التى قدمها زعيمها أحمد عرابى ورجاله، وحسبه أيضا أنه العصر الذى شهد ميلاد الاحتلال الانجليزى البغيض الذى ران على مصر منذ ١٨٨٢ حتى تخلصنا منه جزئيا عام ١٩٤٩ فى وزارة النقراشى وتخلصنا منه نهائيا ١٩٥٤ بعد الثورة • وغنى عن الذكر أن مصر قاومت هذا الاحتلال منذ بدايته حتى نهايته بالمظاهرات والاضطرابات والضحايا والشهداء وبالصحافة المستنيرة منذ قامت الثورة المصرية الكاسحة ١٩١٩ •

وفى طوفان الغليان الشعبى المؤيد لثورة عرابى ولدت مجلة (النديم) التى جاءت فى وقتها لتعميق الثورية فى النفوس وتعبئة الشعب لمساندة ثورته • لقد كان صاحبها السيد عبد الله النديم خطيب الثورة وشاعرها وزجالها ، اللسان الطلق الذرب والمنطق السهل المؤثر • وكان للصحيفة بأسلوبها الساخر من المظالم الخديوية وبفكاهاتها

التي تنال من كل خطأ وتستثير الحمية في النفوس ، صداها في تأييد الثورة وانعكاسها السيء على السلطات فطورد النديم مع من طورد وعز على السلطات الظفر به في جولات متعددة فاختفى في الأرياف متنكرا يواصل دوره الاعلامي ويصدر عددا جديدا من (النديم) كلما وسعه ذلك .

ويغلب الشعب الثائر على أمره ، ويبسط الاحتلال الانجليزى سيطرته الظالمة ، جاثما على أنفاس الشعب وتستأنف السلطات البريطانية مطاردتها للنديم بعد نفي عرابي وتخمد الجذوة الملتهبة الى حين .. وخلال ذلك يجنح النديم الى الهدوء . ويصدر مجلة (التنكيت والتبكيت) لونا آخر من الصحافة الفكاهية التي تحولت الى صحافة مسلية لشعب مقهور مغلوب على أمره .

اقتصرت مواد التنكيت والتبكيت على نشر الفكاهات والملح والنوادر القديمة ونكت المعاصرين وفن القافية والشعر والزجل وفيها وله فن (الادباتي) الشخصية التي ابتكرها النديم وكان يمارسها في المجتمعات وينشرها في صحيفته . وهو الفن المنظوم الذى ابتكر له النديم مذهبا ثابتا أصبح رمزا حتى الآن لكل قصيدة منظومة من فن الأدباتي وهو المذهب الذى يقول فيه النديم :

أنا الأديب الادباتي　　　الم عيش تحت بطاطي
والف انشد واهاتي　　　شرم برم حالي غلبان
شرم برم حالي غلبان

حمارة منيتى

فى نفس عهد الخديوى توفيق ظهرت أيضا مجلة ثالثة حملت اسم (حمارة منيتى) وأصدرها محمد توفيق ، وهو ظريف من أعيان وذوات مصر فى تلك الفترة واختصت بالدعابات للأعيان والتعليق على المراهنات وضحايا الصفقات التجارية الخاسرة وأخبار « المكارية » ـ أصحاب حمير للايجار ـ مع الأعيان الذين كانوا يوصلونهم الى بيوتهم آخر الليل بعد لهو صاخب فى مناطق السهر فى وجه البركه والأزبكية وكيف عبث بهم المكارية واحتالوا عليهم ونكاد نسلكها طبقة الذوات دون العامة ·

وهذه الدراسة التى بين يديك ـ عزيزى القارىء ـ فرصة تتاح لى للجواب على سؤال حول اسم مجلة (حمارة منيتى) ·· ما معنى هذا الاسم ؟ ولماذا اختاره محمدتوفيق اسما لمجلته ؟

وعندى الجواب ·· سمعته من أستاذنا حسين شفيق المصرى حين سألته فى نشأتى عن معناه وكان جوابه : كان لصاحب المجلة صديقة بينه وبينها غرام ، وكانت توافيه فى مواعيدها العاطفية على حمارة تركبها ، وقد أحسنت زينتها فكان كثيرا ما يغازل الحمارة ويداعبها ويشكرها لانها تاتى

له بمحبوبته .. منيته المذكورة . وتقديرا لدور الحمارة في جمعه بمنيته أطلق اسمها على مجلته حين أصدرها .

تقليعة ، وقد تكون طريفة ، وقد تكون مستهجنة ، المهم أن محمد توفيق خلد الحمارة ولم يخلد منيته .. حتى وافته (منينه) !!

★ ★ ★

في دار الكتب نماذج محدودة لهذه الصحف التي مررنا بها حتى الآن .

الأرغول

وقبل أن تقبل عشرينيات هذا القرن تظهر مجلة (الأرغول) لصاحبها الزجال الشيخ محمد النجار ، وكانت تستخدم الزجل والموال في الدعاية والسخرية ، وتوظفهما كذلك لخدمة أغراض أخلاقية ودينية .

المسلة

وفي عام ١٩٢٠ يحاول بيرم التونسي أن يصدر مجلة وكان قد ذاع اسمه بعد أول أعماله المنشورة (المجلس البلدى) وكان نقده الساخر فيه قد رددته الجماهير ضاحكة معجبة . وكانت السلطة المحتلة والسلطة المحلية قد رفضتا الترخيص له بأية صحيفة ، فلجأ الى اصدار ما سماه (المسلة ـ لا جريدة ولا مجلة) محاولا بهذا تفادى شرط الترخيص الرسمى ولم يقدر لهذه (المسلة) أن تعيش أكثر من عدد واحد فقد حملت في هذا العدد اليتيم زجله التاريخى الشهير ، الذى كان سبب منفاه من مصر من عام ١٩٢٠ الى ١٩٣٨ حين عاد متسللا وعاش قلقا مطاردا حتى كانت يد محمد محمود باشا ـ رئيس الوزراء وقتها الذى اتفق مع وزير داخليته وكان النقراشي باشا ـ رحم الله الجميع ـ على التستر على بيرم التونسى . وتجاهل وجوده في مصر متسللا ولم يصدر عنه ـ بعد ـ العفو الملكى .

وشيئا فشيئا راح بيرم التونسى يمارس حياته العادية ويسفر عن نفسه وعن انتاجه حتى حصل على الجنسية المصرية ـ ولم يكن يحملها من قبل منفاه بحكم أن جده وأباه كانا يتمتعان بالحماية الفرنسية لتبعية تونس

ـ موطن المجد والاب ـ لفرنسا وقتها وهكـــذا دخلت (المسلة) تاريخ الصحافة الفكاهية ولو بعدد واحد صدر منها ٠

وقد كان لصاحبها خلال منفاه اسهام في مجلة فكاهية يأتي الحديث عنها في مكانه من الترتيب التاريخي هي مجلة (الامام) وكان له جهد آخر في اصـــدار مجلة ثالثة باسم (ياهوه) في الشهور الأولى لعودته من المنفى وسيأتي ذكرها في حينه ٠

البغبغان والمسامير
والسيف والناس

فتحت عيني قارئا مبتدئا في التاسعة على مجموعة صحف طويلة عريضة بحجم الصحف اليومية تدخل بيتنا عصر كل خميس ٠ هي بالتحديد أربع صحف ٠ كل منها على ورق ذي لون خاص ٠ هذه لون ورقها أبيض ، والثانية لونه أحمر ، والثالثة صفراء الورق والرابعة خضراء ٠ هذه الباقة من الصحف الملونة كانت كفيلة أن تستهويني ، تستفز فضول طفل التاسعة الذي ـ يادوب ـ أوشـــك أن يبدأ فك الخط ، بالتحديد في السنة الثانية من المرحلة الابتدائية فقد ظفرت بالشهادة الابتدائية من مدرسة باب

الشعرية فى موسم ١٩٣١ ــ ١٩٣٢ من هنا أستطيع تحديد ظهور هذه الصـــحف بعام ١٩٢٩ ٠ كانت كلهـا بخمسة مليمات والواحدة فى ٤ صفحات وكلها تصدر عن دار واحدة ، ولها ملكية واحدة ، وتحمل أسماء (البغبغان) ــ (السيف) ــ (الناس) ــ (المسامير) ٠ وكلها فكاهية ضاحكة شعبية اللهجة ٠

ما الحكمة فى تعددها ما دامت كلها لونا صحفيا واحدا وتصدرها دار واحدة ؟ هذا سؤال فطنت الى ضرورةالبحث عن جواب له بعد هذا بسنوات ، عندما اتسعت المدارك بعض الشىء ، لكننى لا أذكر اننى عرفت له جوابا ثم فهمت فيما بعد حين بدأت أتعرف الى الأشياء الصحفية بوضوح ، أنها كلها كان يحررها الاستاذ حسين شفيــق المصرى وتسعفه طاقته النادرة فى الاضحاك بالقلم على تحرير ١٦ صفحة واسعة الجنبات اســـبوعيا وأذكر أن موادها كانت تدور حول (حديث أم اسماعيل) ــ (حديث الحاج سيد) ــ (القهوة البلدى) ــ (المشعلقات) ــ وكلها أبواب كانت ناجحة فى وقتها ، وانتقلت معه الى المطرقة حين تولى تحريرها بعد هذه الصحف الأربع بعام أو أكثر ولقد توارثنا نحن الجيل التالى له بعض هذه الابواب حين عملنا فى الصحافة الفكاهية وان كنا طورناها اســلوبا ومضمونا بما يلائم ايقاع العصر ٠

والأستاذ حسين شفيق المصرى أديب شبع تماما من الأدب العربى فى مختلف مراحله ؛ وكان شاعرا فصيحا

ممتازا بليغ العبارة فيه نكهة فحولة الشعر العربي في ازهى عصوره ولكن فطرته الضاحكة نحت به الى التحرير والانشاء الفكاهي فتحول من الأديب الرصين الى الأديب الساخر ، تسعفه نكتته الباهرة ، وبديهته الحاضرة فيما كان ينشيء من فصول ومقالات ومداعبات ونقدات توصل اليها بالقافية الصريحة حينا ، وبالشعر (الحلمنتيشي) حينا ، وهو في كل الأحيان الصناع الماسك بزمام الفصحى والعامية معا .

كتب مسرحية واحدة قدمها نجيب الريحاني وفرقته وله في دنيا الغناء قصيدة رائعة بالفصحى لحنها وغناها الأستاذ فريد الاطرش ، مطلعها :

ختم الصبر بعدنا بالتلاقي

وشفى القلب ان حبك باق

وقد خلف حسين شفيق المصري تراثا متناثرا في عديد من الصحف الفكاهية وغير الفكاهية مثل (الكشكول) السياسية التي كان يصدرها الأستاذ سليمان فوزي . وكان حسين شفيق المصري يحرر فيها أكثر من باب فكاهي ، العجيب ــ وهذا للتاريخ فقط ــ أنه كان يحررها وفق سياسة لا تتفق مع مبدئه السياسي فقد كان وفدي النزعة ، يخدم الوفد بقلمه في كل المجالات ، الا في مجال

(الكشكول) حيث كان يسخر من الوفد وزعمائه ، فقد كانت الكشكول ضد الوفد !

لا تفسير لهذا التناقض سوى أنها الحرفية .. الرجل صحفى محترف صاحب قلم مطواع يؤدى ما يطلب منه .

وقد رأس تحرير مجلة « الاثنين » لحساب دار الهلال بعد أن عمل محررا في مجلة (الفكاهة) التى كانت تصدرها نفس الدار ثم أوقفتها لتدمجها فى مجلتها الأخرى (الدنيا المصورة) وسمتها (الاثنين) .

وفى (الفكاهة) ثم (الاثنين) اشتهرت له المعلقات الفكاهية وهى الشعر الحلمنتيشى الذى ابتكره وسيطر عليه بأستاذية لا تبارى وكذلك بابه (مذكرات فضولى).

أصدر بعد خروجه الى المعاش مجلة باسم (الأيام)، لهـا موضعها من الحديث فى هذا الكتاب وفقد بصره فى سنواته الأخيرة ومات دون أن يعقب ذرية .

١٠٠٠ صنف

عام ١٩٢٨ أصدر الأستاذ بديع خيرى مجلة فكاهية باسم (١٠٠٠ صنف) اسبوعية من القطع المتوسط فى ٢٤ صفحة . تميزت بأبيات زجلية ثابتة ، على غلاف كل عدد

فيها دعوة الى الاقبال على الحياة بابتسام وتفاؤل ونبذ الهموم أكاد اذكر منها قوله والعهدة على الذاكرة :

الدنيـــا دى زى العقرب
اضربها صرمة تعيش مرتاح

كان الرجل يحررها وحده فكاهيا وان اتسعت لشذرات غير فكاهية او ادبية محضة لسواه ويبدو أن شواغله فى المسرح والسينما مؤلفا مرموقا مطلوبا حالت دون تفرغه لها فاحتجبت مبكرة ·

المطرقـــة

فى عهد صدقى باشا رئيســا للوزراء عام ١٩٣٠ وكان ضد الوفد حزب الاغلبية خرجت مجلة (المطرقة) مجلة فكاهية اسبوعية من القطع الطويل فى ٨ أو ١٠ او ١٢ صفحة أحيانا بخمسة مليمات لســانا شعبيا لحزب الوفد · تنشر الفكاهات والازجال والمواد الأخرى تسخر بها من صدقى باشا وحكومته وتهلل للوفد وللنحاس باشا وكان الرأى العام يتجاوب مع هذه السياسة ويرى فى المطرقة لسانه الساخر الظريف الذى يشــبع رغبته فى الانتقام من عهد صدقى باشا « بالتريأه » عليه فراجت

رواجا فظيعا حتى بلغت العشرين ألفا وكان هـذا الرقم حدثا وقتها .

كان صـاحب المطرقة اسمه أحمد شفيق .. رجل طيب مرح بدأ عامل طباعة واقتنى مطبعة فى شارع الخليج المصرى (بور سعيد الآن) وحصل على رخصة (المطرقه) على أمل أن تنجح شعبيا وتتقاضى ـ اعانة من حزب الوفد ـ لكن رواجها وأرباحها اقنعت صاحبها . فلم يكن يطلب من الوفد الا أن يقابل النحاس باشا زعيم الوفد بين الحـين والحين ، على أن ينشر هذا الخبر فى صحف الوفد . وعلى أن يتصور مع النحاس باشا وتنشر صحف الوفد صورته مع زعيم الأمةوهو يتصفح المطرقة . وكانت هذه « التميمة » ذات فعل سحرى بين عامة الشعب اذ يرون الزعيم يعطف على المطرقة فيزداد تعلقهم بها خاصـــة كلما صادرتها وعطلتها حكومة صدقى باشا ، فكان النحاس باشا نفسه هو الذى يستدعى صاحب المطرقة ليتصور معه ليرفع روحه المعنوية ، فكان صـــــاحب المطرقة يتحمل التضـــحيات ويضاعف الحملة على صدقى باشا ويضاعف صدقى باشا سجنه ومرمطته فى التحقيقات !

وفى المطرقة تألقت أقلام الأساتذة حســين شفيق المصرى ومحمد مصطفى حمام وعبد السلام شهاب وأبو عبدة وابن الليل ، نثرا وزجلا وشعرا فكاهيا وحوارا ساخرا وبمقياس عصرها ، أدت المطرقة رسالتها وفق امكانيـات

العصر طباعة واخراجا وان كان أعيب ما عابها افتقارها الى الكاريكاتير بينما كان معروفا وذائعا في صـــحف أخرى وكان الأولى أن يكون في هذه المجلة الفكاهية ٠

ومن آيات الصمود لمطاردات السلطة ، لهذه المجلة الشعبية المكافحة أن أعدادا لها كثيرة كانت تصادر : وأن محرريهـا كانوا يسـاقون الى التحقيق القضـــائى . والى السجون وكان رئيس تحريرها يتغير بين كل عدد وعدد تقريبا ، بحكم القبض على رئيس التحرير ٠٠ كل رئيس تحرير تقريبا ٠

رؤساء تحرير الظل !

عانت (المطرقة) من المصادرات وكلما سجن صاحبها أحمد شفيق الذى كان رئيس التحرير الرسمى ، خـلا منصب رئيس التحرير ، وكان لابد من واحـــد يحمل مسئولية السجن القادم ٠ ووجدت المطرقة من شباب الوفد المصرى ــ الحزب الذى تدافع عن سياسته ضـــد السلطة القائمة ــ من يتطوع بالعمل رئيسا للتحرير ــ دون ممارسة لواجبات المنصب ــ ويكون مستعدا للسجن ولم يكن يزيد عن شهور ، بعضهم باغراء الشهرة ، وبعضهم بحماس الوطنية والتعصب لجريدة حزبه التى تمر بمحنة اضطهاد الحكومة الصدقية والحكومة التى تلتها حكومة عبد الفتاح يحيى باشا وأذكر من الأسماء التى توالت على رياســـة

التحرير « الوهمية » شابا من مندوبى الصحف اليومية اسمه الأستاذ عطية الجداوى ومحاميا وفديا اسمه الأستاذ واصف رزق الله • بينما كان المحرر الفعلى للمطرقة وقتها هو الأستاذ حسين شفيق المصرى أو الأستاذ محمد مصطفى حمام أو الأستاذ عبد السلام شهاب وكانت ميولهم الشخصية مع حزب الوفد وان كان الجميع قد تولوا تحرير المطرقة نفسها حينما خرجت على الوفد بعد ذلك عام ١٩٣٧ ربما عن ايمان بهذا الاتجاه الجديد ، وربما بحكم انهم صحفيون لا يقحمون ميولهم الشخصية فى صناعة القلم الساخر •

وهكذا كانت المطرقة أول صحيفة عرفت حكاية رؤساء تحرير « الظل » •• الوهميين الذين لا تتجاوز صلتهم بالعمل أكثر من ظهور أسمائهم فى (ترويسة) المجلة •

مواد المطرقة

حرصت (المطرقة) على ثوب تقليدى ثابت من حيث تثبيت أبواب بعينها • ولهذا تجمدت أبوابها عند (حديث خالتى أم اسماعيل)و(المشعلقات) ثم (المشهورات)•وهى قصائد الحلمنتيشى التى برع فيها حسين شفيق المصرى ، و (القهوة البلدى) (وع الأرغول) و (ميدان الزجل) (وتعليقات على الأخبار) وكانت تكتب بأسلوب (القافية) وظلت تصدر فى ٨ ــ ١٢ صفحة من القطع الطويل مطبوعة

بلون واحد وتباع بخمسة مليمات الا فى مرحلة تالية بعد أن توقفت فترة ، ثم عادت لتصدر فى القطع المتوسط فى ٣٢ صفحة وتباع بعشرة مليمات لفترة لم تطل بحيث لا تستحق التوقف عندها ٠

اشمعنى

خرج الأستاذ الزميل محمد عبد المنعم رخا من السجن فى قضية صحفية فى الثلاثينات عن كاريكاتير رسمه فى مجلة (المشهور) وهى مجلة سياسية ساخرة أصدرها الزميل الراحل عمر عزمى لكنها لم تكن مجلة فكاهية بالمعنى الدقيق والمصطلح عليه للصحافة الفكاهية ، والتى من أجلها تخصص هذه السطور الباحثة الدارسة المؤرخة ٠

وقبل أن يمضى وقتا للراحة من عناء السجن ٠ كان يعد لاصدار مجلة فكاهية تعتمد فى المقام الاول على كاريكاتيره البارع ٠٠ لكنه لم يستمر لأكثر من عددين او ثلاثة فقد ناء بأعبائها المالية ، وكانت الصحف السياسية القائمة قد بدأت تطلبه ليرسم لها ومن يومها لم يعاود تجربة اصدار صحف !

وقد تولى تحرير (اشمعنى) مع صاحبها الأستاذ رخا الأستاذ محمد مصطفى حمام ٠

الف نكتــة

عام ١٩٢٤ أصدر الرسام ـ المخرج السينمائى فيما بعد ـ حسين فوزى ، مجلة (١٠٠٠ نكتة) من الاسكندرية مطبوعة (على الحجر) وكان حسين فوزى قد بدأ رساما للافيشات بأسلوب الطبع على الحجر الذى كان معروفا حتى الثلاثينات • كانت مجلة صغيرة الحجم تباع بخمسة مليمات ـ ولعلها كانت فى ثمانى صفحات ـ وكانت فكاهية فعلا ولكن فكاهة موجهة الى الأطفال والصبيان أكثر من الكبار وعنيت بنشر القصص الخيالية بريشة صاحبها وبتعليق زجلى أو مسجوع •

وفى هذه المجلة الصغيرة القادمة من الاسكندرية ولدت صحفيا • نعم فقد كانت أول مجلة أراسلها بانتاج ضاحك وأول مجلة تنشر لى هذا الانتاج ، وأذكر أن أول ما نشر لى فى دنيا الفكاهة الصحفية كان موضوعا قصيرا بعنوان (قانون الضحك العام) وهو منشور بالصفحة الثانية من ثانى أعدادها وكانت أول مرة أقرأ فيها اسمى مطبوعا تحت مادة صحفية ضاحكة وكان منطلقى الى الظهور فى عالم الصحافة الفكاهية •

ولعلى بهذا التصريح الذى أنشره لأول مرة لا أستنزل

على روح صاحب الفضل فى ولوجى هذا الباب المرحوم حسين فوزى ، الا ٠٠ الرحمات !

وأذكر ان (١٠٠٠ نكتة) عاشت قرابة عامين فقط ٠ وكان عمرى وقتها ١٥ عاما فقط لا غير ، يوم ولدت كاتبا فكاهيا على صفحاتها ، وباستقراء التاريخ والاستنتاج ، أرجح أن توقف (١٠٠٠ نكتة) راجع الى أن صاحبها كان قد انتقل الى القاهرة ليبدأ عمره السينمائى ٠٠ هذا وقد دارت الأيام ، فأصبح حسين فوزى مخرجا سينمائيا ٠٠ وصديقا وأصبحت كاتبا سينمائيا كوميديا وبعد نيف و٣٠ عاما من عام ١٩٣٤ ٠ أسند الى صديقى المنتج السينمائى زهير بكير كتابة فيلم (نور عيونى) وكان المخرج هو حسين فوزى ٠٠ وكان الفيلم أول أفلامى وهكذا قدر لى أن يكون أول ما نشر لى فى مجلة يملكها حسين فوزى وأول فيلم لى يخرجه نفس الرجل وبعده كتبت لحسابه هو فيلم (حلوة وكذابة) آخر أفلامه ٠٠ ولم أدقق معه فى الأجر فقد صارحته بأنه صاحب الفضل فى اتجاهى الفكاهى ولولاه ربما ما كنت شيئا ــ ان كنت ــ فى الصحافة الفكاهية ، ولولاه ما كنت أخدم الصحافة الفكاهية حتى أصبح مؤرخها ومرجعها الوحيد الباقى على قيد الحياة !

أرجو ألا يكون تعليقكم الهامس بينكم وبين أنفسكم ياريت ما كنت !

البابا جللو

عام ١٩٣٥ نشبت حرب بين ايطاليا والحبشة انتهت باحتلال ايطاليا للحبشة • كان الرأى العام المصرى وقتها يشارك الرأى العام العالمى السخط على هذا العدوان الاستعمارى • وكانت روابطنا الخاصة مع الحبشة من حيث الجيرة الافريقية والاشتراك فى النيل . تعطى مشاعرنا سمة خاصة من التعاطف الوجدانى العميق حتى لقد نشرت الصحف المصرية وقتها قوائم يومية باسماء مصريين ، أعلنوا رغبتهم فى التطوع فى الحرب مع الجارة الافريقية المعتدى عليها ، ضد الدولة المعتدية •

كان المصريون يتلقفون بالفرح الشديد انباء انصارات جيرانه الأفارقة ، وكانت برقيات « روتر » و « هافاس » وكالتى الأنباء العالميتين وقتها ــ اللتين تحمل أنباء تلك الحرب ، تحدد مشاعر البهجة بانتصار الجيران ، أو الحسرة والأسف أن خسروا موقعة أو أرضا أو أفرادا •

في هذا المناخ صدرت مجلة فكاهية باسم (البابا جللو) ــ اسم غريب بعض الشىء لا يعنى شيئا كما هو واضح ــ وكانت فى ثمانى صفحات من القطع الطويل وتباع بخمسة

مليمات ، وتصـــدر عن دار (المطرقة) ويحررها زميلنا الراحل وليم باسيلي ..

موادها كانت تتناول الشئون العامة المحلية بالنقد والسخرية ، وخصصت مساحة كبيرة لمناقشة أحداث حرب ايطاليا والحبشة بالأسلوب الفكاهي ، وتترجـم تعبيرات الشارع المصري . بالنكتة المصرية المحبوبة وركزت على نشر برقيات فكاهية مفبركة تصف بعض مواقع الحرب ووقائعها وتروى كيف اكتسح الأحباش ، الجيوش الايطالية الغازية وتأتى بأرقام ضحايا الطليان وهذه أرقام تأتى وفقا لمساحة خيال مؤلفها ــ زميلنا وليم باسيلي ــ وتخضع كثرة أو قلة لضيق أو سعة هذا الخيال لحظة تحـــريرها أو بالاحرى لحظة « فبركتها » !

وكانت الفبركة غير واضحة للقارىء العادى الذى كان يضطرم حماسا لهذه الانتصارات الوهمية التى كان يحققها المحرر الفكاهي على الورق ، بينما لم يحققها المقاتلـون الأحباش على أرضهم بدليل انهم خسروا الحرب فى النهاية لكن هذه الفبركة كانت تستقطب المشاعر وتوزع (البابا جللو) كل ما تطبع وكان لا يقل عن ٥٠٠٠ نسخة كل اسبوع وبانتهاء حرب الحبشة ــ ايطاليا انتهى دور (البابا جللو) فتوقفت . وقد كانت أرقام الضحايا الطليان كما نشرتها (البابا جللو) موضع تعليقنا في وقتها ، بل ورحنا نجمع هذه الأرقام وفق ما وردت في البرقيات الوهمية فكان حاصل الجمع يصل الى رقم يساوى أضعاف عدد الطليان وقتها .. ولربما لسنوات قادمة ..

مخلب القط

عندما خرجت مجلة (روزاليوسف) على حزب الوفد عام ١٩٣٥ تاثر توزيعها فقد كان الشعب وفديا بالعقيدة والسليقة والفطرة وكان وقوفها ضـــد التيار مع عنف التضحية والخسائر ، أمرا نبيلا فيه الشـــجاعة والايمان بالفكرة والاستعداد للفداء من أجلها • ولهذا استحدثت بعد عامين مجلة فكاهية داخلية سمتها (مخلب القط) كان يحررها كلها وحده زميلنا الراحل الأستاذ وليم باسيلي وكان الاسم سخرية من عنوان مقالات كان يكتبها المرحوم أحمد نجيب الهلالى باشا ـ الذى رأس الوزارة فيما بعد قبيـل قيام ثورة ١٩٥٢ ـ ولم يكن يوقعها باسمه الصريح وان كانت ـ والشهادة لله ـ آية فى البلاغة والجزالة بالفصحى الرفيعة وكانت تصدر صحيفة (المصرى) لسان الوفد المنطلق والتى كانت أسبق صحفنا اليومية الى تطويرطباعتها واخراجها فضلا عن كتابها اللوامع من أسرة أبى الفتح وسائر الزملاء وراح وليم باسيلى يقلد باسلوب فكاهى ساخر ، مقالات الهلالى باشا ويعالج ما يعالج الباشا من موضوعات ، ولكن من وجهة نظر معارضـة للوفد ، فكان للمجلة الفكاهية الداخلية أثر ملحوظ فى رواج المجلـــة الأم •

وللطرافة . أذكر هنا أن الوزارة وقتها كانت وزارة الوفد نفسه التى تهاجمها المجلة الفكاهية وضاقت الوزارة بالمحرر وليم باسيلى الذى أفلح فى السخرية منها وقررت سجنه . وكانت الخطوة الأولى استدعاءه للتحقيق وأوكل هذا الاستدعاء الى مخبر بوليسى طيب . ساذج على نياته فقد ذهب الى المجلة وسأل عن الأستاذ وليم باسيلى فدلوه عليه . فأبلغه بمهمته وأدرك زميلنا ما وراء هذا الاستدعاء من حبس على ذمة التحقيق وما يعقبه من متاعب ، فقرر الهرب من المخبر بلباقة .. رحب به وطلب له كوبا من الشـاى وخلع حذاءه وجوربه وجاكتته وشـمر قميصـه واستأذن المخبر فى الوضوء وصلاة الظهر قبل القيام معه ، ووافق المخبر الساذج على انتظار الأستاذ (وليم باسيلى) حتى يتوضأ ويصلى الظهر ريثما يشرب هو الشاى وخرج وليم باسيلى المتأهب للوضـوء ببنطلون وقميص وقبقاب الوضـوء وهرب من الباب الخلفى لدار روزاليوسف فى شارع محمد سعيد بحى المالية !

وأدت مجلة (مخلب القط) مهمتها المرحلية بانعاش توزيع روز اليوسف وتوقفت بتوقف المقالات الأصلية ! مقالات الهلالى باشا !

وقد كانت روز اليوسف تخصص لمجلتها الفكاهية السياسية صفحات ثمانى مطبوعة على ورق ملون خاص بها يتخللها الكاريكاتير البارع المؤثر .

البعكوكة ..

قد يستغرق الحديث عن هذه المجلة سطورا أكثر من سابقاتها ، لا لأنها فقط أشهر زميلاتها وأطولها عمرا ولا بحكم اقتران اسمي باسمها ومعايشتي لها من عام ١٩٣٧ ولكن لاثرها البعيد وتأثيرها في أكثر من جيل . ولأن على صفحاتها كان التجسيد الحقيقي لدور الصحافة الفكاهية في خدمة الشعب . الخدمة العملية ولأنها خرجت المئات من ذوي الأقلام السياسية والفكاهية والزجلية والقصصية ولأن النشر فيها كان أمنية للأدباء والمتأدبين ولأنها استحدثت في فنون الادب الفكاهي الجديد والمبتكر من الأفكار والألوان والأبواب .. ولأنها كانت عالما قائما بذاته يحفل بالعجائب والغرائب التي أرجو أن يتسع الباقي من الصفحات لروايتها وفي ذهني محاولة الايجاز الشديد . ولأنها أولا وأخيرا باقية خالدة في وجدان القراء العرب حتى في فترات توقفها .

« البعكوكة » .. لم يكن اسمها !

ولعل من أولى غرائب البعكوكة انها لم تصدر بهـــذا الاسم . فقد كان ترخيصها باسم (الراديو) حين أصدرها صاحبها محمود عزت المفتى عام ١٩٣٤ مجلة ، من القطع المتوسط فى ٢٤ ـ ٣٢ صفحة لتباع بخمسة مليمات . كان (الراديو) شيئا جديدا عرفناه فى مصر قبل ميلاد المجلـة بأقل من ٤ ســنوات فكان من بشـائر التوفيق اختيار (الراديو) اسما لها وان لم تكن تحمل فى صفحاتها أى شىء يتعلق بالراديو فى سنواتها الأولى !

كذلك صدرت (الراديو) فى نفس العام الذى افتتحت فيه رسميا (الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية) فى ٣١ مايو ١٩٣٤ .

من صاحبها ؟

وقد يكون من المناسب أن أقدم لك صاحبها وكان وحده دنيا أخرى من المتناقضات والطـــرائف ، لعل ما ألقيه عليه من أضواء يساهم فى تكوين الصورة الكاملة

للمجلة وصاحبها : اسمه محمود عزت المفتي وليس هذا اسمه الحقيقي الأصلي . انما كان اسمه محمود أمين خطاب ، وكان والده من الدعاة الى الاسلام بجمعية أنشأها . اعتقد أنها باقية حتى الآن باسم خاص قائمة على أحفاد وأتباع الوالد الذي أنشأها . تؤدي رسالتها الدينية .

لم يستكمل (محمود) دراسته الازهرية التى كان والده يعده لها وانغمس فى الحركات السياسية السرية فى صباه ، حتى كان رأسه مطلوبا من السلطات فهرب الى السودان حيث مارس مالا نعرف من أعمال ولم يكن يحدثنا عن تلك الفترة بأى حديث على انه عاد الى مصر فى مستهل الثلاثينات يحمل اسم (محمود عزت المفتي) ليفتتح فى الموسكي ما سماه (أسطوانات الملاليم) . وكان يبيع الاسطوانات الغنائية باقساط اسبوعية لا تتجاوز ٥٠ مليما في الاسبوع فلو افترضنا أن ثمن الاسطوانة كان ٣٠ قرشا فالمشترى كان يملك اقتناءها فورا مقابل تعهد بالسداد على ٦ أسابيع وكان هو يشترى الاسطوانات بالجملة وفوقها كمية من علب ابر الاسطوانات كان يأخذها مجانا لتشجيعه على تصريف الاسطوانات . فكان يبيعها بالابرة الواحدة ويأخذ مليما واحدا ثمنا للابرة !

عقلية غريبة بعض الشيء ــ تجاريا ــ ولكنها أفادته فى جني ثروة من ورائها . كذلك كان يبيع الاسطوانات التى يهديها اليه المطربون والمطربات دعاية لهم وتشجيعا له على تصريف اسطواناتهم مما يرفع قدرهم وأجرهم لدى منتجي الاسطوانات .

وفى نفس الوقت عمل مندوبا لبعض شركات التأمين، وشركات الأوراق والسندات المالية ، وفى كل هذه المجالات كان يحاول العيش والادخار لاعمال أخرى كان يدخرها له مستقبله . وحين لمح بفطرته الحساسة ان (الراديو) بدأ يغزو البيوت أدرك أن عصر الفونغراف والاسطوانات يلفظ أنفاسه ، فقد أغنى الراديو الناس عنهما فاخترع ما سماه نظام الاشتراك الخاص . مؤداه أن ترسل له بحوالة بريد بمبلغ كذا مقابل اشتراكك فى مجلتك أو مجلاتك الأسبوعية المفضلة . وكان المبلغ الذى يطلبه أرخص من المبلغ الرسمى المقرر للاشتراك . وكان أمينا فى تعامله . ما أن يصل اليه الاشتراك حتى يوصل المجلة الى المشترك بالبريد ان كان العنوان بعيدا وباليد ان كان قريبا .. لقد جعل من نفسه ومن دراجة يستأجرها باليوم ؛ شركة توزيع خاصة قائمة بذاتها . ولم يشك مشترك واحد من تأخر مجلته أو فقدها . فماذا كان حظه أو مكسبه من هذا العمل المبتكر ؟ كان مكسبه يتلخص فى انه كان يشترى المجلات بالجملة بأقل من سعرها الحقيقى طبعا لكنه كان يتكبد أجر البريد (مليم واحد لطابع البريد) . لكن مكسبه كان فى فارق السعر ــ وقد لا يكون مجزيا تماما ــ وكان تجمع قيمة الاشتراكات لديه دفعة واحدة يمكنه من استثمارها فى نشاطات تجارية محدودة أخرى ، تدر عليه الربح الذى يعيش من جزء منه ويدخر الجزء الأكبر وهكذا كون رأس المال الكافى لأجر طبع مجلة ، سهل عليه الحصول على رخصتها بضمان تاجر ثرى من الغورية اسمه (الحمصانى)

كان صديقا له يعطف على عصاميته ويستجلب له الاعلانات من زملائه التجار ، وكان بينهم مسموع الكلمة وشــبه (شهبندر) صغير للتجار • كما كان المفتى نفسه بنشاطه يجمع لمجلته الاعلانات من المجلات والبنوك والأشخاص وبأى سعر يمكنه الوصول اليه • وكانت نفقات الطباعة وقتها رخيصة بحيث يصبح ايراد التوزيع مهما كان ضئيلا وايراد الاعلانات والاشتراكات مهما ضئيلا كافيا لتغطية نفقات الطباعة فضلا عن خروجه بأرباح طيبة تدعم خطوات المجلة • وقد صاحبته هذه العقلية التجارية التى نفعته فى بدايته الفقيرة المعدمة تقريبا حتى استغلها أيضا عندما أصبح ثريا فى الاربعينات فكان يتاجر فى الورق والكاوتشــوك وأية سلعة تجارية من السلع التى زادت أسعارها خــلال تلك الفترة ــ فترة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ــ وهكذا تضخمت ثروته من التجارة ومن أرباح مجلته التى مرت بمراحل نصل اليها فى استعراضنا لمسيرتها ،وكانت أرباحا مثيرة للغاية فقد وصل توزيعها مثلا الى ١٦٠ ألف نسخة اسبوعيا ، ولو كان ربحه خمسة مليمات فقط من النسخة الواحدة : فان ناتج ربحه من التوزيع ٨٠٠ جنيه صافية كل اسبوع فضلا عن ايراد الاعلانات • وكان توزيع البعكوكة الرهيب قد جعل المعلنين يسعون الى الاعــلان فيها بأسعار يحددها • وكان يغالى فيها انتقاما من الفترة السيئة الأولى التى كان يلهث فيها وراء الاعلانات والمجلة بعد غير معروفة • ومن ايرادات الاعلانات والاشــتراكات والتوزيع والتجارة كون محمود عزت المفتى ثروته الخيالية

التي صادرها تأميم الصحافة والضرائب بعد أن اشترى : بيتا في شارع الجيش وبيتا في حلوان وبيتا في الهرم • واقتنى شقة من شقق الأوقاف في الاسكندرية واشترى بيتا في الاسكندرية أجره فندقا فضلا عن سيارتين وعربة حنطور ، وبعد أن اقتنى ثروة سائلة في البنوك •

ولا أنسى أنا شخصيا واقعتين عشتهما بنفسي

الواقعة الأولى :

عام ١٩٣٤ وهو يبدأ الاعداد الأولى من (الراديو) يطوف بدراجته المستأجرة يبيعها بنفسه بخمسة مليمات للنسخة ويجهد نفسه تماما وهو يستخرج المليمات الخمسة من جيب الزبون القارىء ورأيته يرهن الكمية المطبوعة من المجلة (لم تكن تزيد عن ٢٠٠ نسخة ١٩٣٤) لدى المطبعة ويستجدى منها نسخة واحدة فيها اعلان قيمته ٧٠ قرشا مثلا فيذهب لتحصيله من مطعم مثل مطعم الكاشف الذى كان دائم الاعلان عنده • وفي المطعم يتناول غداءه أو عشاءه في حدود ١٠ قروش ـ كانت تكفل وجبة فاخرة ـ ويأخذ باقي ثمن الاعلان (٦٠ قرشا) ويكون دينه لدى المطبعة ٥٠ قرشا فيذهب اليها ويسدده ، ويأخذ كمية أعداد من المجلة ومعه ١٠ قروش باقية تكون لحساب اللوكاندة التى ينام فيها بخمسة قروش في الليلة والقروش الخمسة الباقية تكفى لايجار الدراجة وحساب القهوة التي يتخذ منها مكتبا ومقرا للمجلة • روى لى رحمه الله عن هذه الفترة : انه كان

أحيانا لم يكن يملك ايجار الدراجة فكان يذرع القاهرة على قدميه حريصا على ١٠ مليمات فقط عليه أن يخلقها خلقا • نصفها يكفي لوجبة فول مدمس وخبز وطرشي معتبرة يعيش عليها يومه والمليمات الخمسة الباقية ينفقها كاملة في القهوة على الوجه التالي : ٢ مليم لكوب الشاى و٢ مليم بقشيش للجرسون مقابل موافاته بجردل ماء يصب فيه (الارد) ويشتريه من العطار بمليم • ومهمة الارد تدبيل جروح وتشققات القدمين اللتين أرهقهما طول يومه !

هذه مرحلة عايشتها شخصيا من بعيد وسمعت مزيدا عنها منه ، وهي تمثل صورة بؤس شديد وكدح مرهق لبناء انسان وعمل له يقتات منه على هذا النحو من الشظف والمعاناة •

الواقعة الثانية :

أو المرحلة الثانية كانت بعد النجاح والثراء •• وكنت قد بدأت مسئولية تحرير البعكوكة عمليا حضرت معه شراء قصر على جمال الدين باشا ــ أحد وزراء الحربية السابقين ــ في الهرم ورأيته وهو يكتب شيكا بعشرة آلاف من الجنيهات ثمنا للقصر ، بالبساطة التي تكتب بها سيادتكم أو أنا شيكا بعشرة جنيهات •• لو كنا أنت وأنا من أصحاب الشيكات !

وفي هذا القصر قرر المفتي أن يكون مهراجا •• ان يعيش حياته بأقصى ما يستطيع من البذخ ، ولكن بعقل أيضا وبحكمة وباقتصاد الذي تلوع حتى أثرى !

كان يقيم في الشهر الواحد ٤ ســـــهرات للحظ وللفرفشة والتوسعة على نفسه وأصدقائه بمعدل سهرة كل أسبوع ، يوم صدور عدد البعكوكة وفي السهرة ما شئت من ألوان الطعام والشراب لكن بأرخص أسعارها مع جودة أصنافها !

فقد كان يذهب الى أسواق الجملة للخضار والفاكهة والطيور ومخازن المشروبات ويعود بأجود الأنواع بأرخص ما يمكن من أسعار • ولم يكن الرجل يشرب ولا يدخن ، انما كان يلذ له أن يحاط بجو الأبهة والعظمة ويتمتع بنداءات (ياســــعادة البيه) ، و (يا مفتي بيه) وكان يطـرب ويتفلسف ويضحك من أعمـاقه وهو يروى لي في هـذه السهرات مراحل البؤس والفاقة السابقة ويشهدني على متناقضات الدنيا ، وكانت نزعته الخيرة ــ وكانت محدودة جدا والشهادة لله ! ــ تتمثل في أنه يحرص على احضــار فقراء الأدباء ليلقوا انتاجهم الادبي والفكاهي لتسلية ضيوفه وكان يحرص في هذه المرحلة على أن يختارهم من الباشاوات والأغنياء ، مقابل أن يتيح لهؤلاء الأدباء عشاء دسما فاخرا مرات أربع في الشهر • وكانت البعكوكة بانتشــــــارها الخرافي أملا لنشر صورة فنانة وكلمة طيبة عن فنان ، من هنا كان أهل الفن يتطوعون لاحياء سهرات المهراجا محمود عزت المفتي (بك) • اللقب الذى مات دون أن يحصـــــل عليه وقد كان مستعدا لشرائه بماله !

واستكمالا لأمانة التـــاريخ أقرر أنه كان بعد كل

سهرة يفرض على نفسه تقشفا رهيبا · كأنما كان يعاقب نفسه على ما أفرط وفرط من مال · فكان عشاؤه ـ من الأسبوع للاسبوع ـ كوب اللبن الزبادى أو قطعة من الجبن القريش !

طباخ البعكوكة

ولعله من الطريف أن اورد هنا · موالا فكاهيا داعبت فيه المفتى وضيوفه فى احدى هذه السهرات قلت فيه :

طبـــاخ سعادة جنابك على زمايله امير
تتلف أيده الحليوه ف عشره متر حرير
راجل مجـدد وغاوى ف مهنته التطوير
ده من براعته الليلة دى جاب لى قمر الدين
حاجة صلاة النبى ، تقول عليه جرجير !

المفتى ·· ودنيـاه !!

وكان الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب ضيفا شبه دائم على هذه السهرات التى كانت بهجة حقيقية فى هـذا القصر المنيف ·

أما فى اليوم الأخير لطباعة البعكوكة وقبل صدورها بساعات فقد كان يادب لنا وجبة واحدة قوامها الفتة واللحم المسلوق لا غير !

وخـــلال الاربعينات ـ الفترة الذهبية لبدء نجاح البعكوكة ـ كانت الحرب قد أفرزت من سباهم الرأى العام المصرى اللماح باسم (أغنياء الحرب) أولئك الذين كانوا تجسيدا للفئة التى تسمى (محدثى النعمة) .وقد كان صاحبنا المفتى واحدا منهم • كانت الثروة المفاجئة قد هزت أعصابه بعض الشيء فكانت تصرفاته فيها الكثير من الشذوذ والغرابة •

مثلا •• كان يقفل علينا الباب الحديدى الخارجى لادارة المجلة فى بداية نجاحها فى مقرها بشارع محمد سعيد ، حتى لا نهرب (نحن المحررين) ولا نستقبل أصدقاءنا وكان محرما علينا استعمال التليفون فى حاجاتنا الشخصية كما كانت له لافتات متعددة مثيرة ، تتناثر فى أنحاء مكتبه • لافتات تحمل البيانات أو (الفرمانات) التالية :

* وقتنا للعمل لا للزيارة •

* من فضلك لا تدخن الآن • رائحة الدخان ممنوعة على بأمر الطبيب •

* اختصر فى حديثك فانا مسافر الآن •

* لا تحاول طلب سلفة فانا حالف لا أسلف أحدا •

من هنا رأينا نحن المحررين أن صاحب مجلتنا تجسيد حي لشنى الحرب كما اصطلحنا عليه ٠ وغافلناه فكتبت مقالا بعنوان (غنى الحرب يتحدث) وجعلته هو شخصية المقال وكتبت حتى بعض عبـــاراته ولازماته وبعض حكـــاياته وتصرفاته هو ٠ وكان قارئا ذكيا لقد ضحك للمقال وعرف انني أعنيه وكان صحفيا بالسليقة اذ رحب بنشره وطلب مني أن يكسون بابا ثابتا ولم يكن في ذهني أن أجعـــل مع العنوان رسما فاستدعى هو زميلنا الرسام حامد ــ رسام بصحف الامارات العربية المتحدة الآن ـــ وطلب اليه أن يرسمه هو بجانب العنوان ٠ لم يضق بالدعابة على قسوتها ولا بالسخرية على حدتها ٠ وشغلتني رياســـة التحرير عن الباب فكان كثير من الزملاء يكتبونه وباجادة تامة !

خطف طربوشي !!

في عام ١٩٣٨ وكانت المؤشرات تشير الى اضطراد في توزيع البعكوكة ـ وكان اسمها لايزال الراديو والبعكوكة كنا نطبع ٤٠ الفا فقط ، والنسخة بخمسة مليمات والورق الداخلي ملون والصفحات ٦٤ صفحة من القطع المتوسط ، في ذلك العام أرهقني العمل مع المفتي وكنت في حـــدود التاسعة عشرة من عمري وقبل أن ينتهي الشهر الذي قررت

الهروب منه فى نهايته ، اصدر زميلنا الأستاذ وليم باسيلى مجلة الصرخـــة فى نفس اطار لون الراديو والبمكوكة ٠ وما كان المفتى يطيق أن يجد لمجلته مجلة منافسة فى السوق ودعانى وليم باسيلى الى التعاون معه وترك المفتى فرحبت جدا واستغنيت عن مرتب الشهر فقد كان أول مرتب لى عام ١٩٣٧ هو ٥٠ قرشا لا غير مع العبء الذى كان على ومع تقدم التوزيع زاد المرتب جنيها كاملا خلال العام ـ وذهبت الى دار المفتى وتركت استقالتى معتذرا بأسباب صحية ، وبعد يومين أو ثلاثة ظهرت الصرخة وفيها انتاجى وأتخيل الآن كيف استشاط غضبا وهو يرى الصرخة الجديدة تنتزع منه أهم مسمار فى ماكينة البمكوكة وراح يبحث عنى بأول سيارة ركبها (فيات) حتى عثر على فى أحد الشوارع فتوقف ونزل لعتابى أو استرضـــائى أو الخنـاق معى ، فصارحته بأن قسوة العمل معه تدعونى للطفشان فما كان منه الا أن خطف طربوشى وهرب به إلى سيارته وانطلق بها وكان ثمن استرداد الطربوش الرهينة أن أسترد موقعى فى تحرير المجلة ٠٠ وقد كان بعد أن جعل مرتبى ٢ جنيهات كاملة ٠ وكان أمينا فى معاملاته مع محرريه رغم ضآلة المرتبات ٠

البعكوكة ..
بداية السعد والثراء .

أخذنا الاستطراد .. وتداعي الأحداث والأسماء فقد قلنا أن (البعكوكة) باسمها العريض لم تكن تحمل هذا الاسم من بدايتها فكيف نشأت هذه المجلة التي تحولت اليها مجلة الراديو الصادرة عام ١٩٣٤ ؟

قلنا أن (الراديو) لم يتجاوز ما تطبعه ـ دون أن توزعه كله طبعا ـ ٢٠٠ نسخة اسبوعيا كان تحريرها خليطا من الأدب والسياسة والفن والنقد الاجتماعي ، وتفسح صدرها لكتابات القراء استقطابا لهم ، لم تكن لها شخصية ولا اسلوب ولا طابع . لم يكن لها هيئة تحرير . صاحبها يستكتب بالمجان أصحابه من هواة الكتابة . واستمرت هكذا حتى جاء عام ١٩٣٧ حيث نشر صفحة مستقلة بعنوان خاص هو (على كيفك) وتحت العنوان ما معناه أنها مجلة خاصة صغيرة وابنة للمجلة الأصلية : الراديو . كانت الصفحة الجديدة باسمها الجديد (على كيفك) شيئا فريدا مميزا ، كانت ضاحكة المادة ، لاذعة النكتة حررها وحده ازهرى شاب سمى بها اليه اسمه طه محمد حراز واستلفتت (على كيفك) أنظار القراء المحدودين

للمجلة ، وما لبثت ان كسبت المجلة الأصلية (الراديو) قراء جددا بفضل هذه الوليدة الجديدة • وشيئا فشيئا وضح أن هذه التقليعة الظريفة تؤذن بنجاح أكبر فما لبثت أن أصبحت الصفحة أربع صفحات وبدأت المجلة تصل الى الألف نسخة أسبوعيا • وألهم المفتى أن هذه التقليعة لو عنى بها ، وافسح لها مجالا أكبر ، سوف تضاعف من رواج التوزيع • وكنت قد بدأت صلتى بالمجلة محررا من الخارج ، أكتب فيها نقدا للاذاعة بامضاء (عفريت الراديو) فضلا عن بعض الأزجال والشذرات الفكاهية ، ففوجئت بانه بدأ ينقل شذراتى الفكاهية الى المجلة الوليدة المستقلة ، ولكن بعد أن فاجانا بوصولها الى ٨ صفحات على ورق ملون خاص حمل عبء تحريرها وحده زميلنا الأستاذ طه محمد حراز ، وكانت مساهماتى فيها محدودة• الى أن فوجئت به يعفينى من تحرير اى شىء فى (الراديو) ما عدا نقد الاذاعة ، لأوجه طاقتى الفكاهية الى المجلة المستقلة الجديدة بعد أن فاجانا بجعل اسمها (البعكوكة)• وشاركت فى تحريرها زميلنا الأستاذ حراز ، الذى ظل يكتب معظم موادها ، حتى تقاسمنا مسئولية تحريرها وحدنا ، وتنافست وزميلى فى ابتكار أبواب ومواد وشخصيات وحفلت البعكوكة منذ البداية بأبوابها الشهيرة ام سحلول ـ الدكتور مكسوريان ـ مذكرات تلميذ خائب ـ غنى الحرب ـ عثمان عبد الباسط ـ جلسات الأدباء ـ فكاهات أهل الفن ـ برقيات ضاحكة ـ شعر حلمنتيشى ـ وكانت هذه أبوابا شبه ثابتة ، فضلا عن المواد المتحركة المتطورة

عددا بعد عدد ، الأمر الذى دفع صاحب المجلة وقد حققت البعكوكة نجاحا مضطردا الى أن يجعل اسم المجلة (الراديو والبعكوكة) وظل اسم البعكوكة ينمو ويلمع ويتضخم حتى لم يكن مفر من أن يكون وحده اسم المجلة ، بعد أن ذبل ثم مات اسم (الراديو) على ألسنة القراء وباعة الصحف وعددا بعد عدد وطدت البعكوكة أقدامها فى السوق ، وبعد ٢٠٠ نسخة لكل عدد يتعثر توزيعها بخمسة مليمات الى ١٦٠ ألف نسخة بعشرة مليمات ثم بـ ١٥ مليما ثم بـ ٢٠ مليما للعدد الممتاز الشهرى ٠ وكانت رحلة النجاح بين المرتين قد استغرقت ما بين ١٩٣٤ ــ ١٩٤٠ وما تلاها ٠

تميزت البعكوكة في بداية الاربعينات بالقطع المتوسط والصفحات الملونة للبعكوكة الداخلية والطباعة العادية ، حتى اذا تضاعفت كمية الطبع لم تعد المطابع العادية تحتمل طاقتها ملاحقة الكمية المضطردة الازدياد ؛ فنقلنا الطبع الى مطابع جريدة (لا باترى) بحى الأزبكية وكانت تطبع فقط بينما كان صف الحروف يتم فى مطبعة لينوتيب صغيرة أخرى . ثم زاد ضغط الرواج وكنا بحاجة الى أحدث مطبعة تستطيع مواجهة مرحلة الـ ١٠٠ ألف وما تلاها فكنا نطبع فى مطابع جريدة المصرى التى تملك امكانيات تسعفنا من حيث صف الحروف باللينوتيب الحديث ومن حيث آلات الطباعة الجبارة ٠

هنا يحسن أن نذكر أن البعكوكة عاشت فى البداية تنقل رسوم الكاريكاتير من الصحف الأخرى وتؤلف لها

نحن الكلام — ، حتى رزقنا برسامين متطوعين فاستغنينا عن (اقتباس) كاريكاتير الآخرين ، ثم استخدمنا رسامين محترفين بالمرتب ، سمحت الظروف المالية وولد على صفحاتنا الرسام (حامد) وغيره من الرسامين المعروفين الآن ·

وللتاريخ أذكر هنا بعض الأسماء التى شاركتنا تحرير البعكوكة فى مجالات غير الفكاهة الخالصة فأذكر الاستاذ : محمد كامل حتة ومحمود كامل المؤرخ الموسيقى — ومحمد السيد المويلحى ·وكان هؤلاء الزملاء يحررون الموضوعات الجادة · كما أسهم بالتحرير الفكـــاهى ولوقت طويل الأستاذان محمد مصطفى حمام وفتحى قورة رحمهما الله ·

كيف استغنت البعكوكة عن الاعـــلانات ؟

كان الاعلان فى مجلة البعكوكة برواجها الرهيب موضع اقبال المعلنين ، فضلا عن اعلان حكومى واحد ثابت هو اعلان هيئة السكة الحديد · وكان صاحب البعكوكة متنبها الى عدم طغيان الاعلان على التحرير فخصص له نسبـــة محدودة لا يتعداها مهما كان اغراء الاعــلان وانفردت البعكوكة بأنها الصحيفة الوحيدة التى ليس لها مندوبو اعلانات ·· لقد كان الاعلان يأتيها حتى بابهـا وبدأت

ايرادات الاعلانات وايرادات التوزيع تدعم وتضاعف ثروة المفتى صاحب البعكوكة حتى فاجانى يوما أغرب مفاجأة صحفية .. لقد أبلغنى أنه قرر الغاء الاعلانات نهائيا من المجلة . !

وكانت لذلك قصة :

في بداية رياسة تحريرى للبعكوكة ــ من وراء حجاب هو رئيس التحرير (الوهمى) حبيب مجلى طعرم .. فاجانى المفتى باغرب خبر أو اقتراح صحفى قال لى ذات يوم :

ــ أيه رأيك ؟ حانلغى الاعلانات

وصعقت .. كانت الاعلانات وما تزال اهم مورد لاية صحيفة فى العالم ، وكانت الاعلانات فى البعكوكة ناجحة جدا . بل أشهد أننا كنا نؤجل نشر كثير منها حتى لا تطغى الاعلانات على المادة التحريرية وكانت تدر موردا رائعـا ولهذا قلت له ساخرا :

ــ نعم ؟ سعادتك بتقول أيه ؟

فعاود حديثه المنطقى جدا بهدوء :

ــ عارف ان الاعلانات عندنا بتجيب لنا ايراد كويس . لكن حانستغنى عنه .

وعاودتني الدهشة والذهول واكمل منطقه الغريب :

ـ احنا عايشين على قرائنا أكثر • لو المساحات اللى بتشغلها الاعلانات دى نحط فيها مواد للقارىء ، ازجال نكت ، كاريكاتير ، مش يبقى أحسن ؟ التوزيع حايزيد • احنا يهمنا التوزيع •

وغضبت قائلا محتجا :

ـ أنا ارفض التجربة الخطرة دى • حضرتك ما تفكرش فيها الا وانت بتسلمنى مسئولية المجلة ؟ عشان لما الايرادات تخس ، تقولى وشك وحش أو تقوللى انى رئيس تحرير خيبان ؟

لكنه عاد يؤكد لى أن أرباح البيع ستكون اضعاف ايرادات الاعلانات • عاودت طلب اعفائى من المسئولية وتأجيلها الى ما بعد فشل التجربة كما أكدت له حتى لا أحمل وزرها لكنه رفض وأخلانى من المسئولية •

لا أطيل •• نجحت التجربة وانتصرت وجهة نظر الرجل الحساس وكأنما حسبها بالورقة والقلم •

نجحت التجربة ، لدرجة أننا كنا مرتبطين باعلانين سنويين لكل من (بنك مصر) و (السكة الحديد) فكان يدعو الله أن ينتهى العام والعقدان حتى لا يجددهما !

وانفردت البعكوكة سنوات ـ فى عهدى وان كان

بالرغم منى ! ـ بانها الصحيفة الوحيدة فى العالم ، فى الكرة الأرضية كلها التى لا تنشر اعلانات بل لقد فرض على المفتى أن أضع ما نشميت دائما ثابتا على راس المجلة أقول فيه :

« هذه المجلة لا تقبل لنشر اعلانات مطلقا لا تجارية ولا شخصية ولا حكومية » !

وان كنت عدت فصممت على عودة الاعلانات وقبل المفتى وكافانى وحده دون أن أطالب بنسبة ـ ضئيلة جدا ! ـ من ايرادات الاعلانات لكنها كانت تصل الى قرابة ١٠٠٠ جنيه فى العام !

٥٠٠٠ جنيه
لهدف غريب !

هذا الرجل العصامى كان انموذجا للرجل العامل الذى يفنى فى عمله ويحرص على استمرار ونماء نجاحه . قلت انه لم يكن يطيق منافسا فى السوق لمجلته . وبالفعل لم تستمر (الصرخة) أكثر من ٤ أعداد فقد جرد عليها حملة عملية لا قبل لها بها . زاد عدد الصفحات . زاد عدد جوائز المسابقات ، خفض قيمة الاشتراك . ضاعف الاعلان عن مجلته فى الصحف . وكانت امكانياته المالية قد بدأت

تسمع ، وكان مالا مفر منه أجهض (الصرخة) فى مهدها وخلا السوق للمجلة الصاعدة (الراديو والبعكوكة) وهنا زاد التوزيع الى ٥٠ ألفا كل أسبوع · لكن المفتى لم يهنأ بخلو السوق طويلا ، اذا ما لبثت المجلة التى كانت المجلة الفكاهية الأولى قبل البعكوكة ــ وهى مجلة المطرقة ــ والتى اكتسحها المفتى ابتداء من اضافة صفحات البعكوكة الى مجلته (الراديو) · والتى اضطرها الى التوقف تماما ، ما لبثت أن أطلت براسها محاولة العودة الى الصدور فهل يتركها المفتى تسحب منه ، ولو ألفا من الخمسين الف قارىء ؟ معاذ · المنافسة والاصرار والعناد انه عنيف فى خصومته وقد قرر أن يغلق (المطرقة) قبل أن تسترد أنفاسها · فرصد ٥٠٠٠ جنيه ــ فى مستهل الاربعينات ــ للقضاء على المطرقة · فماذا فعل ؟ أصدر مجلة أخرى باسم (الفارس) فى ٣٢ صفحة بالقطع المتوسط وهو نفس حجم (المطرقة) وباعها بخمسة مليمات بينما كانت المطرقة بعشرة مليمات وأفرد جوائز مغرية لمسابقاتها ، وكانت موادها من فوائض موادنا للبعكوكة ونسخة رخيصة من البعكوكة ·· ولم يكن للمطرقة قبل بهذه المنافسة من رجل تمكن ماليا· فتوقفت · ربما لم تكمل شهرا ·

وخلا السوق من جديد للراديو والبعكوكة التى وصلت الى ٦٠ ألفا ·· وكان اسم البعكوكة قد غلب على الألسنة ، فاسقطنا كلمة الراديو وجعلنا الترخيص باسم (البعكوكة) فقط وكان هذا مع بداية مسئوليتى الفعلية

عن تحريرها وان كانت الترويسة حملت ربما لآخر أعدادها اسما آخر رسميا لرياسة التحرير ..

وهذه أيضا قصة طريفة في مسيرة المجلة الأعجوبة : مجلة البعكوكة !

رئيس تحرير وهمى !

كان للبعكوكة رسميا رئيس تحرير وهمى هو زميلنا المرحوم الأستاذ حبيب مجلى طعرم ـ وهو اسم حقيقى وليس اسما بعكوكاويا !! ـ فمن الرجل ؟

انه كان مدير شركة التوزيع المسئولة عن توزيع البعكوكة ـ شركة ماهر حسن فراج أحد ملوك توزيع الصحف قبل تأميم التوزيع ـ وكان له فضل في القفز بالتوزيع بحكم رياسته لكل فروع الشركة ورياسته لكل المعلمين والمتعهدين الفرعيين ، وصبيانهم من الباعة ودوره في رعاية توزيع البعكوكة وتوصية الباعة والتفتيش على التوزيع وتيسير وصولها لأيدى الناس ، وكان المفتى سخيا في هذا المجال مع طعرم ورجاله وصبيانه . وأراد أن يبرهن له على مدى تقديره لدوره في دوشة الأذهان بصياح الباعة باسم البعكوكة ، عينه رئيسا للتحرير وكان هذا منصبا فخريا بمعنى الكلمة لأن رئيس التحرير الفعلى وقتها كان المفتى نفسه وكان ذواقة بصيرا بما يعجب القارىء وكانت

له حكايات في المسابقات الوهمية الجوائز • في مستهل كفاحه وقبل النجاح ، وبرغم ثقافته المحدودة جدا كان لا يخطيء تقدير المادة الجيدة ويفرزها من سواها ، التجربة ومضي المدة ، خلقا له خبرة وحاسة صحفية نادرة ، وهكذا حملت البعكوكة رسميا اسم رجل لم تكن له صلة بالمجلة الا استلامها بنفسه كموزع من المطبعة قبل الصدور بيوم • وكان له أيضا فوق هذا المجد الصحفي الذى لا صلة له به مرتب قدره خمســـة عشر جنيها ـ مرتب رئيس تحرير وهمى ـ فضلا عن مكافأة نشاطه فى التوزيع !

ويشهد الله كما يشهد طعرم نفسه رحمه الله انه لم يكن يعرف شيئا عن تحرير المجلة ولم نشاهده أبدا يمارس مهمته لسبب بسيط هو انه كان مدير شركة توزيع صحف فقط ، وان كنت رأيته معنا عام ١٩٥٨ يقدم لمجلة (اضحك) التى حررتها مع بيرم التونسى وشهاب وأبو عبده وحراز وفتحى قورة لحساب صديقنا الضابط السابق يرتى مرقس بدار صــــاحب مصانع الكرتون حاليا رأيت طعرم يقدم فكاهات مترجمة ، ترجمها هو وكانت هذه أول مرة أعرف فيها انه يمارس الكتابة أو الترجمة • وكان رجلا طيبا لكنه لم يعرف بالنكتة أو الفكاهة •

وهذه عبقرية أخرى للمفتي ، استطاع اختراع رئيس تحرير لم يره المحررون معهم طوال السنوات ولم يرفض أو يقبل مادة أو كاريكاتيرا أو يناقش حرفا واحدا !

مرحلة القمة !

في أوائل الخمسينات كنت محررا وسكرتيرا ثم مديرا للتحرير ولكن من منازلنا .. ذلك انني كنت من أوائل الأربعينات قد انتشرت فى كل الصحف تقريبا . عملت المحرر الفنى المسئول لعشرين مجلة وجريدة ، وسكرتيرا لتحرير السياسة اليومية وسكرتيرا لتحرير روز اليوسف وسكرتيرا لتحرير الشعلة وجئت فأصدرت مجلتي الخاصة (ميكى ماوس) من ســـنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ ثم انتقلت بالاضافة الى هذا كله محررا فنيا لمجلة الصباح بعد انفصال زميلى العزيز عبد الشافى القشاشى المحرر الفنى الأول لها طول العمر، لم يكن وقتي يسمح للبمكوكة أكثر من المشاركة ببعض التحرير ومراجعة ما يرسله الى المفتى من مواد ، أوقعها لتتسلمها المطبعة راسا . وأذهب الى ادارة المجلة بين الحين والحين لجلسة استشارية قد تمتد الى ساعات .

وذات يوم من منتصف الخمسينات وكانت الضرائب قد بدأت تزعج المفتي الذى ما كان يتصور أن يسدد شيئا للضرائب من هذه الثروة التى جمعهـــا بالكدح والضنى والمعاناة (ونور العينين) ـ كما كان يقول دائما ! ـ وأين كانت الضرائب والحكومة أيام الجوع والشظف ؟ ! فى هذا

اليوم قال لى رحمه الله : أنت يا أخى بقيت منتشر فى كل صحف البلد ومعاك فلوس . ما تعزمنى النهارده ؟ ورحبت فورا . وضمتنا مائدة كباب فى حى سيدنا الحسين وشاى كشرى فى مقهى الفيشاوى وفضفض لى بمتاعبه مع الضرائب وانه لا ينوى أن يدفع شيئا . وكيف يدفع وهو الذى كون الثروة باللضى والحرمان ؟ وألقى فى وجهى بقنبلة :

ـ أنا حاقفل البعكوكة . أنا عندى آكل وأعيش ملك لغاية ما أموت . ومش حا يطولوا منى ولا مليم .

وذهلت .. كيف يفكر فى قفل المجلة مع هذا النجاح المتصاعد ؟ وبصرته بخطورة وخطل هذا التفكير وفاجأته بقولى :

ـ سيبهالى . أطلعها أنا وأصرف عليها وادفع لك ٥٠٠ جنيهفى الشهر وأنت مستريح ولم يكن يتوقع أن يسـمع منى ولا من غيرى مثل هذا العرض فذهل لثوان وسألنى : بتتكلم جد ؟

فمددت يدى الى دفتر الشيكات ـ وكنت قد دخلت هذا السلك ! ـ وشرعت أكتب له شيكا بألف جنيه حقه عن شهرين مقدما . فاستوقفنى وقال لى :

ـ لا . تعال رئيس تحرير علنى ورسمى وفعلى ومن العدد ده ماليش دعوة ولا اتدخل فى حاجة . عينى ما بقيتش تشوف . أسافر بره اتعالج واتفسح . مرتبك ١٥٠ جنيه من الشهر ده وتدللت عليه وراق لى ان أداعبه فقلت :

ـ شوية . عاوز ٣٠٠ جنيه وشوف حاوصل بالتوزيع لكام .

وراقه هذا الاسلوب العمل فقال :

ـ ١٥٠ جنيه ما فيش غيرهم رسميا . ولك على كل ألف تزيد جنيه واحد أنت حاتستلم المجلة وتوزيعها ٦٠ ألف . لما أشوف حا تعمل أيه ؟

وعدت أقول : أنا وأخواني اللي وصلنا بالمجلة ٦٠ ألف . بالملاليم اللي بناخدها منك وكنت قبلنا بتطبع ٣٠٠ نسخة يرجع لك ٥٠٠ وضحك للنكتة وأقر بفضل الزملاء جميعا وقال لي :

ـ ما تنساش انك بدأت عندي بـ ٥٠ قرش في الشهر ما تنساش أن طعرم كان بياخذ ١٥ جنيه بس .

فقلت :

ـ طعرم ما كانش له شغل معانا خالص فأمن على كلامي وقال :

ـ عشان كده حادفع لك ١٠ أمثاله !

وأنهيت دعابتي حول المرتب وقبلت على أســـاس مكافأة جنيه واحد عن كل الف تزيد في عهدي وأشهد أن الرجل كان أمينا في اتفاقه الى أن وصلت بالمجلة الى ١٦٠ الف خلال سنتين حيث جاءت الثورة فأسقطت جميع رخص

صحف الافراد وتوقفت البعكوكة وكان قد آن للمفتى أن يستريح من الكفاح ٠٠ ومن النجاح معا !

فانسحب الى بيت شيده فى أرض البيطاش فى حى العجمى بالاسكندرية يمضى بينه وبين بيته فى شارع بلزونى فى سبورتنج الاسكندرية أواخر أيام حياته حيث أصيب بالشلل قبل وفاته بعام أو اكثر ٠

وقد زرته فى هذه العزلة وكانت معه شريكة كفاحه المرحومة عيشه فهى زوجته ورفيقة خطاه الأولى ورأيت ذلك الطاروس المنتفش ، القاسى ، الصارم ، وقد نال منه المرض اللعين فى الحركة والنطق ؛ عزت على رؤية المعلم العصامى فى هذه الحالة من العجز . اختزنت الأمر ودعوت له بالشفاء وأغرقته فى بحر من النكت والفكاهة والترياة على الأمراض وأسعدنى أنه كان يقهقه من اعماقه ورويت فكاهاتنا معا والمقالب التى كنا ندبرها له فنعطيه رانديفوهات لمعجبات وهميات وكيف كان يقع فى شراك معابناتنا ويكتشـــف من ضحكتنا عند عودته خائبا اننا ضحكنا عليه فكان يشاركنا الضحك ولا يغضب ٠٠ ويصدق مقالبنا التالية !

وكانت (ست عيشة) حرمه رحمها الله وقد توفيت بعده بشهور أربعة كما عرفت ـ كانت هذه الست الأصيلة الصابرة التى شاركته منذ الصفر حتى أصبحت حاملة مفاتيح الخزائن الامينة ، والتى نامت معه فى المطابع على قصاصات الورق وشربت معنا فى البداية الشاى فى علب

الحبر الفارغة فى المطابع التى كنا نتشرد بينها أيام البداية كانت سعيدة جدا لاننى بجو المرح الذى خلقته أسعدتها وأسعدت رجلها . وقالت لى عند انصرافى متأثرة :

ـ « كتر خيرك . كسبت فينا ثواب كبير . بقى له شهور ما ضحكش ـ عايش يبكى ويستعجل يومه » .

رحمه ورحمها ورحمنا الله .

المعركة الزجلية

لعل السوأة الوحيدة التى استنكرتها فى (البعكوكة) محررا ورئيسا للتحرير ، تلك المعركة الزجلية الساخنة التى أشعلها صاحب المجلة بين الزجالين . استكتب أحدهم زجلا هاجم فيه كل الزجالين ودعاهم الى مبارزة زجلية ظلت البعكوكة تنشرها سنوات وساهمت الى حد فى تنشيط توزيعها لكنها فى النهاية كانت جريمة فى حق فن الزجل . الفن الجميل الذى لا ينبغى أن يتبدد فى مهاترات وشتائم . لكنى لم أكن أملك للمصيبة دفعا . كان صاحب المجلة سعيدا بالمعركة التى تحولت الى معركة هجو مقذع أحيانا كثيرة ، وتجريح وانتقاص لكرامة الزجالين وحسبى أننى كزجال لم أشترك فيها أبدا !

المسابقات .. والجوائز

قبل التحاقي بالبمكوكة ـ وقبل أن تحمل هذا الاسم بعد دخول زميلي الاستاذ طه محمد حراز ودخولي ـ ويوم كانت لا تزال تحمل اسم (الراديو) كان صاحبها رحمه الله يصطنع مسابقات ، يفتعل لها جوائز وهمية .. كان لا يزال فقيرا لا يملك تخصيص جوائز فكان ينشر المسابقات ويطلب الى القراء اجوبتها ويشترط أن يكون مع الجواب طوابع بريد قيمتها ٢٠ مليما ، كان يجمع منها شيئا يساعد على نفقات الطباعة والزنكوغراف ، وعند نشر نتائج المسابقات كان . يغفر الله له ـ يخص بالجوائز الثمينة التى أعلن عنها أسماء وهمية بعناوين وهمية ، ومن قيمة الطوابع يعطى اشتراكات مجانية لمدة ٤ أعداد فقط لفائزين حقيقيين يزيدون عن ثلاثة !

وما أن حملت مسئولية المجلة بعد ذلك حتى رفضت أن أشترك فى هذه اللعبة الخادعة التى لجأت اليها المجلة قبل النجاح . واقتنعت الفنى بأن الأحوال تسمح بجوائز حقيقية بعضها جوائز مالية وبعضها اشتراكات مجانية فى المجلة وبدأت المسابقات السليمة والفائزون الحقيقيون وبدأنا

نشر أرقام أذونات البريد التى نرسلهـــا اليهم مع نشر أسمائهم وعناوينهم ·

ووجهت المسابقات المعتادة وجهة أخرى فيها فائدة ذهنية فجعلتها مسابقات فى النكتة جوائزها كانت فى البداية ـ اذن بريد بعشرة قروش لكل نكتة تنشر ، ثم اذن بريد بخمسة وعشرين قرشا ثم اذن بريد بنصف جنيه ثم بجنيه كامل · واستطيع أن احدد قيمة جوائز النكت منذ بدأت حتى توقفت المجلة بما يجاوز العشرة آلاف من الجنيهات انفقناها مكافأة للنكت التى ننشرها للقراء · عشرة آلاف جنيه يوم كان الجنيه صاحب الجلالة الجنيه !

وفى نفس الوقت رصدنا ألف جنيه ثم ألفا أخرى . ثم ألفا ثالثة لمسابقة زجلية استمرت ســنوات · وكانت الجائزة الأولى فيها اسبوعيا ١٠ جنيهات والثانية خمســة جنيهات والثالثة ثلاثة جنيهات الى جانب ١٠ جوائز ، كل منها قيمته جنيه واحد ·

وكان لمسابقة النكت ومسابقة الزجل أثر لا شــك فيه فى التنشيط الذهنى والفكاهى والزجلى ·

الامام

عام ١٩٣٧ ظهرت مجلة (الامام) التى كان يملكها الدكتور أحمد زكى أبو شادى الشاعر المعروف ورئيس جماعة أبوللو التى كان رئيس الشرف لها أمير الشعراء أحمد شوقى . وامتلك أبو شادى قبـل هـذه المجلة مجلتين اخريين هما (أبو للو) وكانت للشعر ، و (مملكة النحل) وكانت تربية النحل من هواياته وفوجئنا بأن هذه المجلة (الامام) مجلة فكاهية فقد كان يحررها كلها من منفاه فى باريس ، عمنا بيرم التونسى . وكانت من القطع الطويل فى ١٢ صفحة . وكانت موادها مواد بيرمية فيها الزجل والشعر الفكاهى والمقامة الفكاهية الى جانب الشعر الفكاهى والمقامة الفكاهية الى جانب الخطرات الساخرة الناقدة للسلوكيات وللمرفوض من العادات ولم تكن (الامام) هى المجلـة الوحيدة التى حررها بيرم من منفاه . سبقتها مجلة(الشباب) وكان يملكها الاستاذ عبد العزيز الصادر وعلى صفحاتها جرت القصائد الاولى لشاعر الشباب الأستاذ أحمد رامى الذى اكتسب هذا اللقب انتسابا الى (مجلة) الشباب ، لا الى الشباب نفسه من حيث هو عمر وربيع ، كما هو سائد فى الأذهان .

لكننا لم ندرج مجلة (الشباب) فى سلك المجلات الفكاهية لأن الفكاهة فيها كانت قاصرة على مواد بيرم التونسى ، كما لا نملك أن ندرج فى هذا السلك نفسه مجلة (الكشكول) مع وجود مادة فكاهية فيها كان يحررها حسين شفيق المصرى ومع اعتمادها على كاريكاتير على الغلاف كان يرسمه فنان حاذق اسمه (سانتس) ولم يصل الى علمى أسباب توقف(الامام) عن الصدور بعد أعداد قليلة فقد كنت وقتها عام ١٩٣٧ أتلمس خطاى الأولى على أعتاب الصحافة الفكاهية .. والصحافة عموما ربما كانت الأسباب عدم انتظام البريد بين منفى بيرم فى باريس ومقر المجلة فى مصر وربما لخلافات مالية ، الله يعلم وان كنت أكاد أؤكد أن احتجابها لم يكن بسبب عدم الاقبال عليها فان سوق القراءة فى مصر على استعداد لتقبل كل عمل صحفى فكاهى والاقبال عليه .

هكذا دلت الظروف والمؤشرات والشواهد على طول المسيرة .

ياهوه

عقب عودة بيرم التونسى من المنفى ، وكان ذلك عام ١٩٣٨ ، وبعد أن أنس شيئا من الاستقرار بفضل حماية اسبغها عليه محمد محمود باشا رئيس الوزارة والنقراشى

باشا وزير الداخلية واتفاقهما على الاغضاء عن وجوده ـ على نحو فصلته باسهاب فى كتابى : « بيرم التونسى ثائرا ساخرا » ـ دار الشعب ـ يناير ١٩٧٥ ـ أقدم رحمه الله على اصدار مجلة فكاهية من القطع الطويل فى ٨ صفحات عاونه فيها برسم الكاريكاتير رسام الكشكول (سانتس) كانت ـ محتوى ومضمونا ـ هى بيرم التونسى مطبوعا على ورق · آراؤه ، لذعاته ، سخرياته ؛ ازجاله مقاماته ... الخ ·

ولم يلبث بيرم ـ ربما بعد عددين لا يزيد ـ أن (اقلع) عن اصدارها ، فقد قامت وقتئذ الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وانتعشت سوق المسرح والسينما خلالها فالتهمت وقت بيرم تاليفا ، وكانت الاذاعة قد فتحت له أبوابها وميكروفوناتها ، يلقي معنا الأزجال من خلالها ، ويؤلف معنا الأغاني والصور الغنائية والملاحم الشعبية لها وينشر ازجاله فى جريدة المصرى . الأمر الذى أغناه عن متاعب اصدار وتحرير صحيفة فكاهية ، وخلا السوق الفنى لصراع فنى رائع مثمر بينه وبين قرينه بديع خيرى فى التاليف المسرحي والسينمائي ، وذلك قبل ظهور أبى السعود الابيارى وظهورى الى جوارهما فيما بعد فى نفس الميدان : التاليف المسرحي والسينمائي ·

الصرخــة

كان يملك ترخيصها الأستاذ حسن حسنى المحرر فى (الاهرام) وقتئذ فاستاجرها منه الأستاذ وليم باسيلى واصدرها عام ١٩٣٨ فكاهية فى ٣٢ صـــــفحة ثمنها ١٠ مليمات وكانت من القطع المتوسط وتميزت عن كل صحف الفكاهة بغلاف من ورق الكوشيه الفاخر تحمل الابواب المعتادة فى صـــحف الفكاهة كالزجل والشـــعر الحلمنتيشى والنقد الساخر والقافية وقليل من الكاريكاتير اشترك معه فى تحريرها من الزجالين (أبو عبده) وقد أغرانى محررها وليم باسيلى عند صدورها ان اشاركه فى تحريرها وكان معنى هذا أن أنسحب من تحرير (البعكوكة) وكنت قد بلغت فى خدمتها العام الثانى لى · وقبلت التعاون معه بعد قليل من التردد فقد كنت ضقت بقسوة وصرامة صـــاحب البعكوكة فى معاملتنا من حيث المواعيد وكمية الانتاج المطلوبة ومسئوليتى حتى عن ورق المجلة حيث كنت أذهب الى استلامه من مخازن (الأهرام) فى رملة بولاق وأحمله على عربة كارو أتابعها على قدمى فضلا عن مسئوليتى عن التصحيح وملاحقة حفار الزنكوغراف بينما لم يطلب منى وليم باسيلى سوى الكتابة والتحرير وتركت للأستاذ الفنى

استقالتى من البعكوكة مع بواب داره وأراد وليم باسيلى تكريمى حيث سلبنى من المفتى منافسه العتيد فى السوق ، وهو يعرف دورى فى صدور البعكوكة فنشر فى الصرخة سطورا يرحب فيها بانضمامى الى أسرة الصرخة التى بدأت أشارك فى تحريرها منذ العدد الثانى وقبل أن أكمل مساهمتى فى تحريرها كان المفتى قد حاصرنى بسيارته فى أحد شوارع حى المنيرة وخطف طربوشى وهددنى بالضرب ان لم أعد الى بيتى الحقيقى ، ولمس أوتار عاطفتى حين قال لى ما معناه : هل ربيتك ورعيتك ومنحتك فرصتك الأولى لتتمرد على بمجرد أن تشم نفسك ؟

وهى حكاية أوردتها فى موضعها من هذا الكتاب ٠٠ وعذرنى وليم باسيلى ولم يغضب منى ، ولم تلبث (الصرخة) ان توقفت بعد أعداد حيث لم يكن لها قبل بمنافسة البعكوكة الصاعدة عددا بعد عدد ٠

والأستاذ وليم باسيلى واحد من رواد الصحافة الفكاهية المعاصرة ٠ بدأ على صفحات المطرقة وكان له باب مقروء باسم (تحت الناموسية) جعل منه كتابا فيما بعد ٠ وكان من أظرف المحررين الفكاهيين وكان يوقع باسمه الصريح أو بامضاء (و ٠ ب) أو (واخد باله) وقد سجن أكثر من مرة فى خلال عمله فى (المطرقة) وعمل فى روزاليوسف عام ١٩٣٧ محررا لمجلة داخلية باسم (مغلب

القط) لها مكانها فى الحديث فى هذاالكتاب وزاملته منتصف الأربعينات فى (الشعلة)ا ثم ختم حياته الصحفية فى دار الهلال · وحيث لم يكن فى صحفها مجال فكاهى فقد أفرغ طاقته الفكاهية فى ردود طريفة على قراء مجلة (الكواكب) حين حررتها منذ عددها الأول عام ١٩٤٩ وغادرتها وهو مستمر فى الرد على القراء بامضاء (طرزان) ·

المصـــيدة

وشهدت أعوام الاربعينات أيضا ظهور مجلة (المصيدة) أصدرها الأستاذ فهمى عقل رحمه الله ولم يكن يعرف عنه العمل بالصحافة من قبل ·لكنى اذكر اننى قابلته فى صفوف حزب مصر الفتاة ، فى مطلع الشباب ، عضوا معى فى الحزب وكانت مجلة تصدر فى ١٨ ـ ٣٢ صفحة من القطع المتوسط وكان يحررها مع بعض الزجالين،الزجال الراحل عبد الفتاح شلبى (أبو عبدة) أحد زجالى (المطرقة) قبل توقفها وكانت (المصيدة) نسخة مهزوزة من (المطرقة) ومن البعكوكة نفس الأبواب ، بأسماء قريبة من الاسماء الأصلية ·

وكان فيها باب أخذت عليه الزملاء الذين كانـوا يحررونها · كان الباب يحمل اسم (صفيحة الزبالة) وكانوا ينشرون فيه الرسائل والأزجال الواردة من القراء والتى لا تعجب المجررين · وكان موضع مؤاخذات وامتهان

لآدمية ومواهب أو استعدادات هؤلاء القراء ، وتسد شهيتهم عن معاودة المحاولة وتصيبهم باليأس ونحن بحاجة الى صفوف جديدة دائما من الأدباء الضاحكين المضحكين والزجالين والقصاصين ... الخ .. خاصة وقد كانت (المصيدة) تعلق على مالا يعجبها من انتاج قرائها تعليقات قاسية تسد أمامهم الأمل وتشهر بهم علانية . ولم تعمر المصيدة الا شهورا قليلة فقد ظهرت في وقت سيطرت فيه البعكوكة على السوق الصحفي الفكاهي . وكان مقرها شارع المطار بالقاهرة خلف سوق خضار العتبة .

الأيام

في منتصف الاربعينات انتهت خدمة أستاذنا حسين شفيق المصري في دار الهلال حيث كان يحرر لها صفحات عديدة من مجلة (الفكاهة) التي صدرت في النصف الأخير من العشرينات . ثم راس تحرير (الاثنين) التي حلت محل (الفكاهة) ومحل مجلة أخرى من مجلات دار الهلال كانت تسمى (الدنيا المصورة) ـ وخلفه في رياسة تحرير (الاثنين) زميلنا الكبير الاستاذ مصطفى أمين ..

كان حسين شفيق المصري قد نال منه الوهن وأقعدته الشيخوخة عن الحركة الا في حدود ضيقة ، لكن ذهنه ظل

مشرقا بالحيوية والعطاء الفكاهي الذى كان يمليه على من حوله ولأن الرجل من جيل لا يستسلم لمرحلة (المعاش) ولا لدواعي السن والزمن فانه ضاق بالصمت وعدم الانتاج الصحفي فاستصدر رخصة باسم (الأيام) كان يساعده في اصدارها ومباشرة طباعتها زميلنا الاستاذ محمد السيد شوشة ولعلها كانت أولى خطواته على طريق الصحافة وكان يتولى مصاحبة الاستاذ الكبير يتأبط ذراعه ويقوده على الطريق لذهاب بصر الأستاذ حسين شفيق المصرى • وهنا نذكر نكتة معروفة بيننا أطلقها الرجل الأستاذ حين لقيه في الطريق أحد أصدقائه فوقف لمصافحته وتحيته وسأله عن زميلنا شوشة الذى يقود خطاه :

ــ ومين حضرته ؟

واجاب حسين شفيق المصرى :

ــ ده واحد (ساحبنا) !

ولكنها كانت النهاية المحتومة !

الرجل الذي عاشت على قلمه صحف وأثرى من ورائه أصحاب صحف ، عجز عن اصدار صحيفة منتظمة مطبوعة طباعة لائقة مقبولة وكانت صحفنا قد دخلت عصر ٠٠ (الروتوجرافور الملون) و (الأوفست الملون) فلا دعاية للصحيفة ولا انتظام لصدورها ولا طباعة ولا اخراجا وأيضا ــ والأمانة في الدراسة والبحث تقتضي تقرير هذا ــ وأيضا كان التحرير دون المستوى الذى تعوده الناس من رائدعلم

في دنيا صحافة الضحك والاضحاك ! وتوقفت (الأيام) ربما بعد عددين أو ثلاثة .. وكان مستواها التحريري الذي أشرت اليه يشير الى الظروف الصحية والنفسية التي عاناها الأستاذ في أيامه الأخيرة حيث المرض والاكتئاب والشعور بالعزلة ، وهو ما عبر عنه بكلمة هي مزيج من الظرف الشاحب والمرارة الغالبة ، نشرتها له في مجلة (أضحك) التي أصدرها الأستاذ عمر عبد العزيز أمين عام ١٩٤٦ عن دار الجيب التي اسسها ، وكانت لها في السوق الصحفي صحف (روايات الجيب) و (مسامرات الجيب) وقد رأيت من دواعي الفخر لمجلة (أضحك) الجديدة أن استكتب فيها أستاذنا ورائدنا حسين شفيق المصري ، فأرسل الى مع أحد أقربائه الكلمة التي أشير اليها ، ولم تكن التحفة الفكاهية التي كنت أنتظرها من الأستاذ الكبير ولكن الكلمة بما عبرت عن أحوال صاحبها كانت آخر مانشر له وكانت دلالة على قهر الزمن والمرض للموهبة التي تألقت قرابة نصف قرن وتتلمذنا عليها أنا وزملاء جيلي من المحررين الفكاهيين .

اضحك أول مرة ١٩٤٦

بينما كانت البعكوكة متألقة في السوق الصحفي منذ ١٩٣٩ وما تلاه من أعوام ، منفردة مكتسحة متصاعدة أرقام

التوزيع ، قرر صاحب دار الجيب الاستاذ عمر عبد العزيز امين أن يصدر مجلة فكاهية الى جانب (روايات الجيب) (ومسامرات الجيب) فاستصدر رخصة باسم (أضحك) وأسند مسئوليتها الى الأستاذ أبو السعود الابيارى وكنت وقتها محررا فى (مسامرات الجيب) فى أسعد فتراتها تحت رياسة استاذنا الكبير أبو الخير نجيب : فطلب الى صاحب الدار أن أساهم فى (اضحك) بنصيب كبير ولو على حساب انتاجى للمجلة (مسامرات الجيب) !

وتعاونت مع زميلى المرحوم أبو السعود الابيـــارى تعاونا واسعا حتى استقال بتلغراف بعـد ٣ أعداد فقط لخلافات بينه وبين صاحب الدار والمجلة فحملت وحدى عبء المسئولية بينما كان الأستاذ محمد عفيفى يمدنى بمواده الفكاهية ، وكان أغلبها مترجما ، لكنه كان وافر الانتاج .. وكانت خطواته فى (اضـحك) أولى خطواته على الدرب الصحفى .. الفكاهى !

كنت فى نفس الوقت أحمل نصيبا ملحوظا من تحرير البعكوكة ؛ لكن .. من منازلهم .. وصحيح اننى عانيت كثيرا من الحرج من الأستاذ المفتى الذى كان لا يغفر لمحرر أن يوزع ولاءه لعمله وألا يقصره على البعكوكة فقط ، لكنى كنت أتعلل بتعلات لا تقنعه لم يكن يملك الا الاستسلام فهو لن يدفع لى ما احصل عليه من مجموعة الصحف الكثيرة التى أحرر فيها تحريرا سياسيا أو فنيا لكنه كان بفكاهة

ساخرة ظريفة يكرر لى قوله وهو ناقم على عملى فى (أضحك) دار الجيب :

ـ يللا بقى اقفلوا البتاعة بتاعتكم دى وافضى لى · أنا حاجز لك رياسة تحرير البعكوكة !

كان الرجل يملأ يده من أن الحظ واتاه وأنه فى قمة برج سعده وأن كل منافسة صحفية فكاهية للبعكوكة محكوم عليها بالزوال مقدما !

وهذا ما كان ·· أوقف الأستاذ عمر عبد العزيز أمين اصدار (اضحك) . واتجه الى اصدار مجلة للأطفال باسم (البلبل) !

وعدت ثابتا مستقرا الى قواعدى فى البعكوكة وحدها على النطاق الصحفى الفكاهى ·

البعكوكة ··
فى عهــد الثورة

عام ١٩٥٤ أنشأ السيد وجيه أباظة وكان واحدا من ضباط ثورة ١٩٥٢ شركة باسم (النيل) للنشر والاعلان · أصدر من خلالها مجلات (أهل الفن) و (الحياة) و (أخبار الجريمة) · وقبلها أصدر (البعكوكة) فى حياة صاحبها

الأستاذ المفتي بعد أن أوقفها صاحبها وجاء الأستاذ وجيه أباظة بزميلي الراحل الأستاذ فتحي قورة رئيسا لتحريرها ودعاني الى التعاون معه فرحبت وحررنا البعكوكة معا . طه حراز وأبو عبده وقورة وأنا . وبعد ثالث عدد استقال فتحي قورة لخلاف بينه وبين السيد وجيه أباظة فتلقيت منه في بيتي تكليفا أرسله الى الصاغ محمد هلال مدير المجلة بتولى رياسة التحرير فورا .

كنا في منتصف الأسبوع ولابد من صدور العدد في موعده وكنا مقبلين على عيد الأضحى وتستوجب عطلة العمال في المطابع تجهيز عدد ثان للعيد مبكرا ، وعددا ثالثا لاسبوع العطلة وكان اختبارا مفاجئا ودقيقا لمدى كفاءتي والحمد لله اجتزت الاختبار بنجاح ، فقد انكببت على تحرير وتجهيز ٣ أعداد في أسبوع واحد .. وصدر العدد الجديد ، وبعده عدد عيد الأضحى ، لكن العدد التالى لم يصدر بعد أن أرهقت نفسي في تجهيزه مبكرا ..

فقد رأى السيد وجيه أباظة أن يوقف اصدار المجلة بعد أن استعادت مكانتها سريعا وأوشكت أن تضاعف نجاحها وقد توفرت لها امكانيسات الدعم المالي واعلانات شركة النيل الكثيرة !

آخر نكته

منتصف الخمسينات . والسوق الصحفى الفكاهى يشكو فراغا بعد توقف البعكوكة التى أصدرها لحسابه وحساب شركة النيل للدعاية السيد وجيه أباظة وكان لا يزال وقتها من ضباط الثورة المسئولين وان كان قد ترك المناصب العسكرية .

وفى الفقره السابقة سردنا حكاية بعكوكة حكومة الثورة ، التى ورثت البعكوكة الأولى .

.فى هذا الفراغ كنت محررا فنيا لمجلة (الأنباء) التى استأجرها السيد حسنى عبد المجيد ، صاحب احدى دور الطباعة حاليا فى سوق التوفيقية . وتولى أستاذنا محمد على حماد رياسة تحريرها . وفوجئت بالسيد حسنى عبد المجيد يفاتحنى فى رغبته أن أحرر له مجلة فكاهية مقتنعا بحاجة السـوق اليها .فبادرت وكتبت الى شريك الكفاح الصحفى الفكاهى الاستاذ طه حراز أدعوه للحضور الى القاهرة من السويس حيث كان يعمل ويقيم ، وقابلته بالسيد حسنى عبد المجيد واتفقنا على اصدار (آخر نكته)

ولا أذكر الآن هل استصدر لها رخصة جديدة يومها أم استاجر لها رخصة . وما بدأنا نعمل ونستجمع قراءنا من جديد ونستعيد أرضنا التي فقدناها حتى فوجئنا بالسيد مصدر المجلة وممولها ينسحب نهائيا من الساحة الصحفية ويوقف اصدار المجلة بعد أعداد محدودة وقبل أن نعاود الاندماج و (نسخن) ويحمى وطيس الالهام الفكاهي !

الصاروخ (١)

وأسميها الصاروخ رقم ١ ، لصدور صاروخ آخر رقم ٢ فيما بعد ذلك .

كان (الصاروخ رقم ١) اسم ملحق فكاهي أصدرته وحررته وحدى في ثماني صفحات مستقلة ، تابعا لجريدة الحقائق التي أصدرها الزميل الأستاذ أنور زعلوك وأسند الى رياسة تحريرها في الخمسينات .

من بداية عملى بالصحافة الفكاهية وايمـــانى بهـــا يقودنى ويلح على . وما أن وليت رياسة تحرير الحقائق وكانت جريدة سياسية تعنى بالشئون العربية الى جانب الشئون المحلية في لغة عنيفة حادة وفي حملات لصـــالح الجماهير أوقفتني متهما أمام المحاكم ٤ مرات خرجت من كل منها بالبراءة .. وهنا ـ للطرافة ـ أذكر ذكرى تحملنى على الابتسام كلما ذكرتها !

في كل مرة اقدم فيها للمحاكمة كان زميلي أنور زعلوك يدبر لي مظاهرة تستقبلني عند دخولي المحكمة تهتف بحياتي لتشجيعي على مواجهة الموقف وتلطيف أثر الحكم بالسجن على اذا صدر حكم بالسجن — وكانت المظاهرات وفيرة العدد جدا لابد انها كانت تكلف صديقي أنور زعلوك أجورا كثيرة وكانت عبارات التظاهر كما لقنها للمتظاهرين :

— يحيا الكاتب الحر

— عاش الصحفي الشريف

— السجن للأحرار ٠٠ الخ ٠٠ !

وبرغم تضاعف انتشار (الحقائق) في عهدي الا اني رأيت أن اضافة صفحة ضاحكة اليها ، سوف تكسب لها قراء جددا وتدعم ما هي في السبيل اليه من النجاح ، وفعلا جعلت الصفحة الأخيرة من الحقائق صفحة فكاهية مستقلة جعلت لها عنوانا خاصا : (الصاروخ) ونجحت التجربة فجعلت الصفحة ملحقا مستقلا في ٤ صفحات وتضاعف نجاح التجربة فجعلت الملحق في ٨ صفحات ٠

وفجأة قضت الظروف بتوقف جريدة الحقائق فتوقف الملحق بالرغم من النجاح الذي يتمثل في بدايته بصفحة واحدة وبعد عدد واحد يصبح ملحقا من ٤ صفحات وبعد عدد واحد يصبح ٨ صفحات ويستمر هكذا الى أن عطلت الحكومة جريدة الحقائق وسجنت أنور زعلوك !

الصاروخ (٢)

ويأتى الصاروخ الثانى ملحقا لجريدة التعاون تصدره دار التعاون فى عهد مؤسسها ورائدها الأول الزميل الكبير محمد صبيح وتبدأ الحكاية بأن يدعونى للقائه ويعرض عن أن يفرد لى ملحقا من ٨ صـــفحات تصدره (التعاون) يصـــدر مع جريدة تعــاون الفلاحين التى كانت ولا تزال تطبع عشرات الآلاف كل عــدد ولكنها كلهـــا تذهب الى المشتركين الثابتين فى الجمعيات الزراعية المتناثرة فى أنحاء الجمهورية • وكان رأى الأستاذ محمد صبيح انه يريد توزيع الجريدة توزيعا شعبيا جماهيريا ، لا يكون قاصرا على اخواننا الفلاحين خاصة والزملاء القائمون عليها نخبة من الكفاءات الشـــابة بدأت تستحدث أبوابا غـــير زراعية ولا فـــلاحية وتستحق اطلاع عامة القراء عليها ، ورأى أن يصـــدر لها ملحقا فكاهيا يكتسب لها قطاعا جديدا من القراء المضمونين يضاعف من كميات توزيعها ويخرج بها الى العمومية دون النوعية • وترك الأستاذ محمد صبيح للزميلين الصديقين الأستاذين محمد رشاد وسلامة أبو زيد مهمة التنسيق معى بعد أن حملنى مسئولية تحرير الملحق كله مع افســـاح مساحة خاصة يحررها زميلنا الراحل فتحى الرملى وكان

كاتبا ساخرا من الدرجة الأولى ، وبعد عددين اثنين فقط ، ناجحين طبعا فنجاح أى عمل صحفي فكاهي مضمون النجاح ، أبلغني الزميلان محمد رشاد وسلامة أبو زيد بوقف (الصاروخ — ٢) وكان هذا هو اسم ملحق دار التعاون ، وذلك بأمر رئيس مجلس الادارة الأستاذ محمد صبيح ٠

وصدمت ٠٠ حتى انى لفرط أسفى لم أحاول أن أسأل عن السبب ٠٠ السبب الذى عرفته عرضا بعد قرابة ٥ سنوات . وهو أن خلافا نشأ بين الأستاذين صبيح والرملي كانت نتيجته أن أوقف الصاروخ دون مبالاة بشعورى أو جهدى ٠٠ أو املى ! ونسيت دار التعاون الموضوع ، كما نسيت أيضا أن تدفع لى أجرى عن تحرير عددين ناجحين كل منهما فى ٨ صفحات رائعة !

اضحك ثانى مرة ١٩٥٨

عام ١٩٥٨ دعانى الصديق الأستاذ برنى مرقس بدار الى معاونته فى مجلة فكاهية جديدة اختار لها اسم (اضحك) وكان السوق خاليا فجمعت لتحريرها معى الأساتذة بيرم التونسي ومحمد مصطفى حمام وعبد السلام شهاب وفتحى الرملي وفتحى قورة وعبد الفتاح شلبى رحمهم الله ، وطه

حراز واخترت لها رساما كانت بدايته معى فى مجلة الشعلة كان اسمه الأستاذ عبد العظيم واتخذنا لها مقرا بشارع زكي بالتوفيقية وصدرت (أضحك) فى ١٢ صفحة من القطع الطويل بالالوان وطبعناها فى مطابع جريدة الزمان وحملت طابع الصحافة الفكاهية الناجحة وحسبك أن محرريها هم كل صحفيي الفكاهة في حينها ورفضت أن أكون رئيسا للتحرير في وجود أساتذة أقـــدم منى مثل بيرم وحمام وشهاب الذى جعلنا له رياسة التحرير وعاشت (أضحك) قرابة عامين الا قليلا ناجحة رائجة لولا أن صاحبها رأى أن يعتزل الصحافة ويتجه الى تجارة الورق والكرتون فاوقف اصدارها وكان يصدر الى جوارها صحيفتين أخريين للقصة وللجريمة ..

وعاد السوق خاليا من جديد

محاولاتي لبعث البعكوكة

هالنى أواخـــر عام ١٩٦٩ الفراغ السخيف الذى تعانيه صحفيا فى الجانب الصحفى الفكاهى فاقدمت على اصدار (البعكوكة) على نفقتى باسم (البعكوكة الجديدة) مستأجرا رخص : « العهـــد الجمهورى » جريدة زميلنا الأستاذ عبد الخالق التكية ثم « صوت العروبة » .وتحملت

خسائر اصدارها نصف شهرية ثم اسبوعية لمدة قاربت عامين ثم عجزت عن الاستمرار ٠

من أين جاءت الخسائر ؟ كنا بدأنا مرحلة غلاء نفقات الطباعة فاصبحت النسخة الواحدة تتكلف ٤ أمثال ثمنها الذى ستدفعه شركة التوزيع ولم يكن لدى اية اعلانات لا حكومية ولا أهلية وظللت صامدا لآخر قرش فى جيبى وجيوب أصدقائى ولا يفتح شهيتى للبقاء سوى نجاح التوزيع الذى كان يصل طبعا الى ١٠٠٪

واصدرتها كتابا

أعجزنى بعد سنوات الحصول على رخصة باسم البعكوكة نظرا لعدم الترخيص لافراد وفقا لقانون الاتحاد الاشتراكى منذ أيام مراكز القوى اياها ، وأعجزنى استئجار رخص جديدة فقد تلاشت صحف كثيرة بانقراض حياة أصحابها ٠

ولم يكن أمامى حين تيسر لى شىء من المال من جديد الا أن اتحايل على اصدار البعكوكة فى صورة (كتاب) لكن بحجم المجلة المعتاد ٠ وأصدرتها عام ١٩٧٨ كتابا شهريا فى مواعيد مختلفة وبدأت بـ ٢٥ قرشا ثمنا للنسخة فنفدت الكمية كما هو متوقع لكن تحققت أيضا خسائر

مادية كانت أيضـــا متوقعة لنفس السـبب ، وحـسـر ارتفاع سعر الطباعة والورق والالوان والدعاية . مع عدم وجود أى دعم من جهة ولا اعـلانات وكان الاعتمـاد فقط على ايرادات التوزيع . وطبعا التوزيع كالمنتظر والمتوقع والمؤكد دائما ، هو بنسبة ١٠٠٪ لكن الخسائر أيضـا مستمرة وفي العدد التالى جعلت سعرها عشرة قـروش فنفدت الكمية ، وفي العدد الثالث بنفس السـعر نفدت الكمية ، وكانت فى المرات الثلاث توزع كل ما تطبعه وهو عشرة آلاف نسخة وكانت شركة التوزيع هي (شركة توزيع الأخبار) التى كان رجالها يديرون (شركة التوزيع المصرية) قبل (توزيع الأخبار) الأساتذة الزملاء أمين عدلى وعلى عبد الحافظ رحمه الله وعبد العزيز العراقى وكان لابد أن أتوقف بعد أن نفد في الجولة التالية أيضا آخر قرش فى جيبي وجيوب (الديانة) . توقفت اســتعدادا للجوله الثالثة حين يتيسر لى شيء من المال أما متى فالله وحده يعلم !

البعكوكـة
لحسابي ... ثالث مرة !

للمرة الثالثة بعد توقف البعكوكة القديمة عدت فى العام التالى ١٩٧٩ الى اصـدارها متعاونا فى نفقاتها مع الأستاذ عبد المنعم مصيلحى صاحب دار الطباعة الحديثـة

وأصدرناها بعشرة قروش للنسخة ، صافي ثمنها من شركة التوزيع سبعة قروش بينما تكلفت النسخة الواحدة ١٧ قرشا . وكانت الكمية أيضا عشرة آلاف نسخة نفدت طبعا لكنها خلفت من الخسائر على كلينا ما يستطيع القارىء أن يحسبه بنفسه .

كالعادة لم يكن عندنا الا ايراد التوزيع ٧٠٠ جنيه بينما تكلفت ١٧٠٠ جنيه .

وبعد خسائر الف جنيه لم يكن من الحكمة الاستمرار كان الاستمرار حنونا ... انتحارا وناشدت الجهات الرسمية تيسير حصولي على رخصة وتخفيض سعر الورق لكن صيحاتي وبرقياتي واتصالاتي لم تثمر شيئا مع الأسف الشديد !

وفي الختام ... ؟

غني عن التبيان أن كتابنا هذا يقتصر على الصحافة الفكاهية المتخصصة في هذا اللون ، لكن أمانة البحث تقتضي أن نشير الى أن عديدا من الصحف في الماضي والحاضر ، كانت تعنى بالفكاهة ، تجعلها تتخلل صفحاتها أو تفرد لها صفحة خاصة تحرر بالاسلوب الساخر وبالكاريكاتير الموفق ، لكن التوفر على الفكاهة الكاملة وصبغ

كل الصفحات بأضوائها وظلالها وألوانها وأبعادها لم يكن من شأنها ولهذا لم نعرض لها في دراستنا . على أن أشباع الموضوع والالمام بمختلف أبعاده يقتضي أن نقرر أن أكثر من مدرسة في الكتابة الضاحكة المضحكة كان بعيدا عن التخصص بمعناه المحدد . ولا ريب أن جيلي منسلا من الصحفيين الفكاهيين المتخصصين قد استفاد بصورة ما وتأثر الى حد ما بمدرسة التابعي ومصطفى وعلي أمين . واحسان عبد القدوس في الكتابة الساخرة . وفي هذا المجال يذكر أيضا كامل الشناوي وأحمد الألفي عطية وفتحي الرملي كتابا ساخرين مرحين ظرفاء . واذ أن خفة الدم المصرية بخير ، واذ هي فطرة وسليقة ، فالعطاء الفكاهي في صحافتنا باذن الله موصول ودائم ومستمر .. بشرط أن تكون عندنا ولو صحيفة فكاهية واحدة !

وكما خلفنا نحن جيلا رائدا ، خلف بدوره من سبقه من قبل ، سيخلفنا جيل جديد أوفر ظرفا وأكثر خفة روح منا وأطول لسانا .

فلعله يجد ولو صحيفة فكاهية واحدة تستوعب طاقته ومواهبه وامكانياته .

واسجل للتاريخ

ونحن نختم هذا التاريخ للصحافة الفكاهية فى مصر منذ بدأت فى العهد الخديوى حتى عهدنا الجمهورى الحالى ، مرورا ، بالعهد الملكى ، وبعد هذا العرض لكفاح جيل بعد جيل من الصحفيين الفكاهيين المتخصصين ، وبعد أن حققت صحفنا الفكاهية ما حققت مما عرضنا له من خدمات وطنية اجتماعية وسياسية وترفيهية دفع بعض محرريها ثمنها من حريته أحيانا برضى وسماحة واقتناع بمسئولية أصحاب الرسالات لا يفوتنى أن أسجل أننا ونحن الآن فى ثمانينات القرن العشرين الباهر الحضارة والعلم ، لا نملك فى كل السوق الصحفى المصرى – بل العربى – ولا صحيفة فكاهية متخصصة واحدة !

مع كل هذا التراث الصحفى الفكاهى الباهر الفاخر الزاخر الزاهر النادر !

مسألة يخيل الى انها كانت جديرة بأن ندخل فى قانون : « العيب » المستهدف حماية القيم الفاضلة النبيلة

وعندى وعند الحق والمنطق والشواهد والتاريخ . أن صحافتنا الفكاهية واحدة من هذه القيم الفاضلة النبيلة المباركة التى فقدناها .

وبرغم أنفى جاء ختام كتابنا هذا سرحة ليس فيها رائحة فكاهة ، جاء تسجيلا أدمغ به هذه المرحلة من حاضرنا الصحفى حتى أبرىء ذمتى أمام التاريخ ·

على أننا لا نعدم فكاهة من هذه الحالة المأساوية هى أن شعب مصر أشهر شعب فى خفة الروح وعمق فلسفة سخريته لا يملك حاليا ولا صحيفة فكاهية واحدة ! أين النكتة ؟ هذه وحدها نكتة !

لا تضحك ؟ لا بأس · من قديم ونحن معروفون بما نملك من مضحكات ، قال عنها المتنبى : « ولكنه ضحك كالبكا » !

و · · · مساء الفلسفة !!

عبد الله أحمد عبد الله

« ميكى ماوس »

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٣/٣٠١٢

ISBN _ ٩٧٧ _ ٠١ _ ١٧٥ _ ٣